14 me Année No. 676

Lundi—17—6—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

السنة الرابعة عشرة — « القاهرة فى يوم الإثنين ١٧ رجب سنة ١٣٦٥ — ١٧ يونية سنة ١٩٤٦ » — العـــدد ٦٧٦

من مخلفــــات الحرب

هــذا الطبلاوى أفندى ! !

تخلص الإنجليز والأمريكيون من أوزار الحرب التى انقطع منها النفع ، فباعوا كل ما تركت من شىء حتى القنابل المحشوة ! وأقصوا كل ما خلفت من شخص حتى تشرشل الجبار ! ونحن فى مصر لا نزال نعانى من مخلفات هذه الحرب وجرائرها ما يرمض الجوانح ويقض المضاجع .

لا أريد بمخلفات الحرب هؤلاء الجنود الغرباء الذين يملأون الدور ويزحمون الشوارع ، ولا هذه الضرائب الاستثنائية التى تقصم الظهور وتقوض المصانع ، إنما أريد بها أثرياء الحرب الذين يفحشون أسعار الخبز واللحم والفاكهة على الفقراء فى العواصم ، ويرفعون أجور القصور و (العشش) و (الكابينات) على الأغنياء فى المصايف ، ويخفضون مستوى الخير والحق والجمال والذوق والفضيلة فى جميع الأماكن ! أكثر هؤلاء طغام ربوا فى أحجار الفاقة ، ودرجوا فى أكواخ البؤس ، وأعوزتهم التربية الدينية التى تجمل الفقر بالزهد ، والثقافة المدنية التى تلطف الشقاء بالأمل ، فشبوا على غرائزهم الأصيلة ، يحتالون عند العجز احتيال الذئاب ، ويفترسون عند القدرة افتراس الأسود ، وهم بين أحوال العجز والقدرة يكابدون آلام الشوق الملح المحرق إلى المال فى يد الغنى وفى بيوت التجار ، وإلى اللحم فى جسد المرأة وفى حانوت الجزار ، ويحاولون ما استطاعوا أن يطفئوا هذا السعار القاتل بالسرقة والقمار والتدليس والاحتيال والغش ، فلم يزدهم هذا الرى إلا ظمأ ، ولا هذه التمة إلا حسرة !

فلما أوقد المستعمرون نيران الحرب الأخيرة فى بقاع الدنيا فأكلت شباب الأمم ، وأهلكت ثمار الأرض ، ونقصت نتاج الناس ، قيدت المعاملات ، وحددت الأرزاق ، فوجد هؤلاء الشرهون الجياع أن الانطلاق من هذه القيود إلى الحرام المشتهى والثراء المرجو ، أسهل على نفوسهم من تكلف العفاف وإضاعة الفرصة ، فاحتكروا السلع ، وأغلوا الأسعار ، وطففوا الكيل ، وأخسروا الميزان ، وأقاموا فى ظلمات الطرق وفى كهوف الأرض سوقاً سوداء يستغلون فيها عرى الفقير وجوعه ليسلبوه ما تجمع فى يديه من ثمن عرقه ودمه . وظلت الحرب بضروراتها وشواذها تركم على أجسادهم اللحم والشحم ، وتكدس فى خزائنهم الأوراق والأرزاق ، حتى أصبحوا فى المجتمع المصرى طبقة متميزة لها طابعها الخاص ، وسمتها الفرد ، وهندامها العجيب ، وحياتها التى أصبحت للتصوير الهازل والصحافة الفكهة مدداً لا ينقطع ومنبعاً لا ينضب !

أسخطنى على هذه الطبقة الجديدة قصة سمعتها عن أحد أعيانها البارزين سأقصها عليك . وليست هذه القصة أول القصص ولا آخرها ، فإن أغنياء الحرب ينفجرون كل يوم من فرط السمن والانتفاخ ، فيكون لهم من الشظايا والضحايا ما لهذه القنابل التى لا نزال نسمع انفجارها فى الطرق أو فى الملاهى !

استزارنى يوم الأحد الماضى صديقى الأستاذ (ج) فى دارته[1] الجميلة بالدقى ، فزرته فى وقت الشاى ، وكانت الشرفة التى اختارها لجلوسنا تنظر إلى دارة تقابل دارته ، إلا أنها أوسع وأرفع وأفخم ، ولـكن أنماط الناس الذين يدخلونها أو يخرجون منها أو يحفون بها لا تأتلف مع جمالها ولا ترتفع إلى مستواها . دع هذا الصياح الذى يتفجر فيها ، والزياط الذى ينبعث منها ، فربما كان أصحاب الدارة غائبين والخدم ينفسون عن حريتهم المكظومة بهذا الهرج . فسألت صديقى من باب الكلام الذى يُقصد به تحريك اللسان قطعا للصمت أو فتحا للحديث :

لمن هذه الدارة الفخمة ؟

فابتسم صديقى وقال وهو يشير إلى امرأة تجلس وحدها على مقعد من مقاعد حديقته :

لهذه المرأة !

ونظرت إلى المرأة التى أشار إليها فوجدت جسما كالخيال دقيق الشبح معروق العظام تستره ملاءة لفّ من الطراز الذى كانت تلبسه الخادمات قبل أن يصبحن (أرتستات) حرب ! فقلت لصديقى وأنا أبتسم كما يبتسم : ما ذا تعنى ؟ فقال : إنما عنيت ما قلت ، وهو أن تلك الدارة لهذه المرأة ، وهى مع ذلك لا تجد اللباس ولا تملك القوت ، ولا يمر أسبوع دون أن تزورنى مرة أو مرتين لألتمس لهـا من جانب هذا الثراء الضخم فضلة من الرزق تمسك الرمق وتديم العفة ، ولـكن ! !

فقلت له والتعجب يترقرق فى عينى ووجهى : لم أفهم ما تريد فماذا تعنى ؟

فقال بلهجة الجد : أعنى أن هذه المرأة زوجة صاحب الدارة ، وهو فلان الغنى الذى يسميه النـاس (الطبلاوى افندى) لأن بطنه المنتفخ المتسع المستدير يجعله أشبه بضـارب الطبل العظيم حين يحمله على صدره . كان هذا الرجل فقيرا غير شريف ، ووضيعا غير متواضع ، تزوج وهو فى تلك الحال من هذه المسكينة فولدت له خمس بنات وثلاثة بنين أكبرهم كما تقول لا يبلغ الرابعة عشرة ، وكانت تعيش معه هى وأولادها على الـكفاف ، تساعده فى حدود ما تستطيع بالعمل والتدبير والتقتير والقناعة ، وتحتمل سَرَفه ونَزَقه بالصبر والإغضاء والنصيحة ، حتى أدركته (نعمة) الحرب فى سنتها الثالثة ، فوصلت حباله بحبال المتعهدين لجيوش الحلفاء بالمواد الغذائية فشاركهم فى الجمع والتوريد ، وانفرد عنهم بالمصانعة والمهاواة ، حتى استطاع بجرأته بعد قليل أن يدخل على رؤساء العمل الانجليز من الباب الخلفى ، فعاملهم بالغش ، وشاركهم فى الربح ، واستعان بهم على إخراج المحظور من السكر والرز ، وإدخال الممنوع من الحشيش والأفيون ؛ فتساقطت على رأسه وقفاه رزم البنك نوت تساقط البَرَد الغليظ ، حتى اجتمع له فى نهاية الحرب ربع مليون جنيه !

ومنذ رحلت جيوش الحلفاء خلع الطبلاوى رداء العمل ، وحشر نفسه فى صفوف المترفين والعِلية ، فلفّف جسمه بالحرير ، وختّم أصابعه بالماس ، وعدّد الألوان الفاقعة فى بذلته وحذائه ؛ ثم خلى جسمه المنهوم يضخم ويسترخى وينبعج جانباه ، وترك شاربه الخشن يغلظ وينتفش ويطول سِبالاه ؛ ثم اقتنى الضياع والعقار ، واشترى الرُّلْـزرايز والباكار . وكان يطلب الأغلى من كل صنف ، والأعلى من كل شىء . ولا أشك فى أنه هو الذى تحدث الظرفاء عنه بأنه استشار الطبيب فأشار عليه بفيتامين بيه (B) ، فقال له : ولِمَ لا تشير بفيتامين باشا ؟ وأنه طلب إلى رسام أن يرسمه فسأله : أتريد الصورة بالزيت ؟ فقال له : كلا ، بل أريدها بالسمن . وأن طبيب الأسنان أراد أن يصنع لأحد أضراسه المنخورة غلافاً من الذهب ، فطلب إليه أن يصنعه من الماس ! ثم سكن هذه الدارة وألقى زمامه فى يد الغاوين من رواد اللهو وسماسرة الفجور ، فجعلوا له من كل غرفة ماخوراً ، ومن كل ردهة مرقصا ، ومن كل بهو حانة .

وأعجب ما فى الأمر كله أن صورة بيته القديم كصورة ماضيه المظلم قد انمحت من ذاكرته ، فلم يعد يذكر عنوان بيته ولا سكانه ولا جيرانه ، كأنه لم يستقبل الحياة ولم يبصر الدنيا إلا سنة ١٩٤٥ ! وها هى ذى امرأته على الحال التى ترى ، تأتى كلما دفعتها الحاجة لتتوسل بى وبغيرى إلى هذا الوغد ليرمى إليها من وراء السُّور من فضلات الخوانى وفُتات الموائد ما يمسك الحياة عليها وعلى أولاده ، وإن لم ينقص فلن يزيد .

فهل كنت تظن قبل هذا الحديث أن فى خلق الله أمثال هذا الرجل ؟ فقلت له : والله يا صـديقى لو كان المحدّث غيرك لاتهمته بالتزويق والتزوير ، ولـما صدقت أن يكون فى بنى الإنسان هذا الخنزير !

احمد حسن الزيات

(١) الدارة : خير ما وضع من الألفاظ للفلا (villa) .

في النحو :

لا غـــير

أبو العلاء المعري

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

يقول الشيخ أبو العلاء المعري في كتابه (عبث الوليد) في هذا البيت لأبي عبادة البحتري :

« أنابَ به بسطامه ومحمد   تمام علا يعيي الملوك حلولها[1]

كان في النسخة : (أناب به) وهي كلمة نافرة في هذا الموضع ولو أنها (أثاب) لكانت أشبه . وفي النسخة (التمام) مرفوعة وإنما يجوز ذلك إذا جعلت بدلا من (بسطام ومحمد) والمعنى يصح على ذلك إلا أنه بعيد . والأحسن أن يكون (أبنّ) في موضع (أناب) أي أقام ولزم . (تمام علا) ينصب بوقوع الابنان عليها وقد أساء في قوله : (تمام) لأن المعروف تِم إلا أن زيادة الألف هاهنا جائزة تشبه بقلال وقباب . وفي بعض النسخ (أناف) وهو أشبه بمذهبه ، وينصب حينئذ تمام لا غير »

فيكتب الأستاذ الأديب محمد عبد الله المدني المعلق على الكتاب هذه التعليقة على (لا غير) في قول الشيخ (ص ١٩٠) :

« غير اسم ملازم للاضافة في المعنى ويجوز أن يقطع عنها لفظا إن فهم المعنى وتقدمت عليها كلمة ليسَ وقولهم لا غير لحن : المغني لابن هشام . اهـ » .

وهذا قول الإمام جمال الدين بن هشام في (غير) أرويه بتمامه — وإن طال — إذ قد يميل قارىء إلى الوقوف عليه :

« غير : اسم ملازم للاضافة في المعنى ، ويجوز أن يقطع عنها لفظا إن فهم المعنى وتقدمت عليها كلمة ليس ، وقولهم : (لا غير) لحن . ويقال : قبضت عشرة ليس غيرها برفع غير على حذف الخبر أي مقبوضا ، وبنصبها على إضمار الاسم أي ليس المقبوض غيرها .

وليس غير ، بالفتح من غير تنوين على إضمار الاسم أيضا ، وحذف المضاف إليه لفظا ، ونية ثبوته كقراءة بعضهم : (لله

(١) قلت : البيت من قصيدة ، صدر مطلعها : (هواها على أن الصدود سبيلها) ولم ترد هذه القصيدة في الديوان المطبوع .

الأمر من قبلِ ومن بعدِ) بالكسر من غير تنوين أي من قبل الغلب ومن بعده .

وليس غيرُ ، بالضم من غير تنوين ، فقال المبرد والمتأخرون إنها ضمة بناء لا إعراب وإن غير شبهت بالغايات كقبل وبعد ، فعلى هذا يحتمل أن يكون اسما وأن يكون خبرا . وقال الأخفش ضمة إعراب لا بناء لأنه ليس باسم زمان كقبل وبعد ولا مكان كفوق وتحت ، وإنما هو بمنزلة كل وبعض ، وعلى هذا فهو الاسم ، وحذف الخبر ، وقال ابن خروف : يحتمل الوجهين .

وليس غيرا بالفتح والتنوين ، وليس غيرٌ بالضم والتنوين ، وعليهما فالحركة إعرابية لأن التنوين إما للتمكين فلا يلحق إلا المعربات وإما للتعويض فكأن المضاف إليه مذكور ، ولا تتعرف غير بالإضافة لشدة إبهامها » .

فمنذ الأستاذ المدني — وتلكم تعليقته — أن الشيخ قد لحن ، وسنده هو ابن هشام . وقد فتشت طويلا عن اللحن في عبارة المعري فلم أجده ، ولن أجده أبدا . وإن خيل أنه قد جاء من إعمال (لا) عمل (ليس) فاللحن نفسه يسطر في (المغني) هذه الأسطر :

« الثاني — من أوجه لا — أن تكون عاملة عمل ليس كقوله :

من صد عن نيرانها   فأنا ابن قيس لا براح[1]

وإنما لم يقدروها مهملة والرفع بالابتداء لأنها حينئذ واجبة التكرار ، وفيه نظر لجواز تركه في الشعر ، و (لا) هذه تخالف ليس من ثلاث جهات (إحداها) أن عملها قليل حتى ادعى أنه ليس بموجود . (الثانية) أن ذكر خبرها قليل حتى إن الزجاج لم يظفر به ، فادعى أنها تعمل في الاسم خاصة وأن خبرها مرفوع ، ويرده قوله :

تعز فلا شيء على الأرض باقيا   ولا وزر مما قضى الله واقيا

وأما قوله :

نصرتك إذ لا صاحب غير خاذل   فبوئت حصنا بالكماة حصينا[2]

(١) قلت : البيت للحماسي سعد بن مالك ، وهو من أبيات الكتاب والمفصل ، قال الشنتمري : استشهد به على إجراء لا مجرى ليس في بعض اللغات كما أجريت ما مجراها في لغة أهل الحجاز فتقديره لا براح لي على معنى ليس لي براح .

(٢) قلت : البيت من شواهد ابن عقيل في إعمال لا عمل ليس .

فلا دليل فيه كما توهم بعضهم لاحتمال أن يكون الخبر محذوفا وغير استثناء . الثالثة أنها لا تعمل إلا فى النكرات خلافا لابن جنى وابن الشجرى ، وعلى ظاهر قولها جاء قول النابغة :

وحلت سواد القلب لا أنا باغيا   سواها ولا عن حبها متراخيا

وعليه بنى المتنبى قوله :

إذا الجود لم يرزق خلاصا من الأذى
فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا[1] »

فهذه (لا) تعمل — إذن — عمل (ليس) — ودع قولهم إن عملها قليل فالقلة لا تمنع العمل . وما عدها أحد خطأ أو لحنا — وقد زاد العرب الباء فى خبرها لتأكيد النفى — كما يقول ابن يعيش[2] — كما زادوها فى خبر أختها أو قريبتها فقال قائلهم :

فكن لى شفيعا يوم لا ذو قرابة   بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

و (لا وليس) تتناوبان ، قال اللسان :

« قد تجئ ليس بمعنى لا ولا بمعنى ليس ، ومن ذلك قول لبيد : (إنما يجزى الفتى ليس الجمل[3]) أراد لا الجمل . وسئل سيدنا رسول الله عن العزل[4] عن النساء فقال : لا عليكم أن لا تفعلوا فإنما هو القدر[5] ، معناه ليس عليكم أن لا تفعلوا يعنى العزل كأنه أراد ليس عليكم الإمساك عنه من جهة التحريم وإنما هو القدر ، إن قدر الله أن يكون ولد كان » .

وهل (ليس) أصلها — كما قالوا — إلا (لا) ضمت إليها (أيس) ثم كان ما أراده الله تعالى وعمله الانتخاب الطبيعى La Sélection Naturelle فى اللغة عمله فى كل شيء ، وهل أنت — يا فتى — من قبل أنت ، هلْ دريت كيف كنت ؟

قال التاج :

« أصلها — يعنى ليس — (لا أيس) طرحت الهمزة

(١) قال العكبرى : شبه لا بليس فنصب الخبرين كتشبيه ابن قيس فى بيت الكتاب : من فر ... ولم يقل فى الاسمين المعرفتين شيئا .

(٢) شرح المفصل ج ١ ص ١٠٩ .

(٣) قلت : ضبطت (يجزى) فى هذا الجزء من اللسان (ج ٢٠ ص ٣٠٨ وفى ج ٨ ص ٩٦) بالبناء لما لم يسم فاعله وهى بالبناء لما سمى فاعله ، وجاءت (يجزى والجمل) بالراء والحاء فى ج ٨ ، والقول من أمثالهم قال الميدانى فى شرحه : يريد لا الجمل ، يضرب فى المكافأة أى إنما يجزيك من فيه إنسانية لا من فيه بهيمية .

(٤) عزل الماء عن النساء حذر الحمل .

(٥) فى رواية : لا عليكم أن لا تفعلوا ذلك . فانها ما من نسمة كتب الله أن تخرج إلا وهى خارجة .

وألزقت اللام بالياء ، وهو قول الخليل والفراء ، قال الأخير : والدليل على ذلك قولهم أى العرب : ائتنى به من حيث أيس وليس ، أى من حيث هو ولا هو ، وكذلك قولهم جيء به من أيس وليس أو معناه من حيث لا وجد ، أو أيس أى موجود ولا أيس أى لا موجود فخففوا ... »

وقد استعمل للشيخ (لا غير) فى كتابه العجيب العبقرى (الفصول والغايات) وفى كتابه المدهش (رسالة الملائكة) كما استعملها فى (العبث) فقال فى شرح جملة فى الأول ص ٣٣٩ :

« والعرف الرائحة الطيبة وغيرها ، والريا الرائحة الطيبة لا غير » .

وقال فى الثانى ص ٧٠ :

« ... ومعيشة عند (سعيد بن مسعدة) مفعُلة لا غير ، وهى عند الخليل وسيبويه مفعِلة ولا يمتنع أن تكون مفعلة[1] » .

واستعمل (لا غير) أئمة قبل المعرى وبعده . وهذه جريدة قصيرة فى استعمالهم إياها :

الكتاب لسيبويه (ج ٢ ص ٣١٧) :

« ويكون الاسم على إنفعل فى الوصف لا غير » .

تهذيب إصلاح المنطق (ج ١ ص ١٨١) ، والتهذيب لابن السكيت والإصلاح للتبريزى :

« بفيه الإثلِب والأثلَب أى الحجارة والتراب ، قال أبو يوسف : أشك فى الإثلب والأثلب وأحسبه إفعل وأفعل . الحوفى : هى أفعل لا غير[2] ، لأن الهمزة إذا كانت أولا يقضى عليها بالزيادة إلا أن يقوم دليل بأنها من الأصل » .

الفصيح لأبى العباس ثعلب (ص ٣١) :

« جلا القوم عن منازلهم جلاء وأجلوا أيضا ، وأجلوا عن قتيل لا غير إجلاء[3] » .

وفيه فى (ص ٨١) :

(١) لم تجد الشيخ محمود حسن زناتى الذى ضبط كتاب (الفصول والغايات) وفسر غريبه ونشره ، والأستاذ محمد سليم الجندى الذى عني بتحقيق (رسالة الملائكة) وشرحها وضبطها ومعارضتها قد نقدا أو علقا ومثلهما لم يغب عنهما ما يقول ابن هشام وغير ابن هشام .

(٢) فى النهاية : الولد للفراش وللعاهر الاثلب الاثلب : بكسر الهمزة واللام وفتحها والفتح أكثر : الحجر ، وهمزته زائدة

(٣) إذا تفرقوا عنه بعد إحداقهم به (التلويح لمحمد الهروى) .

« ولد المولود لِتِمام وتَمام ، وليل التمام مكسور لا غير[١] » .

الكامل للمبرد (ج ٦ ص ٥٤ رغبة الآمل من كتاب الكامل) :

« قال رجل لعمر بن عبد العزيز يرثيه :

قد غيب الدافنون اللحد إذ دفنوا — بدير سمعان قسطاس الموازين
من لم يكن همه عينا يفجرها — ولا النخيل ولا ركض البراذين
أقول لما أتاني ثم مهلكه — لا يبعدنّ قوام الملك والدين

يقال هذا قوام الأمر وملاكه لا غير[٢] ، وتقول فلان حسن القوام مفتوح تريد بذلك الشطاط ، لا يكون إلا ذاك » .

الفائق للزمخشري (ج ١ ص ١٢٦) :

« النبي صلى الله عليه وسلم قال حريث : رأيته دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء حرقانية قد أرخى طرفها على كتفيه : هي التي على لون ما أحرقته النار كأنها منسوبة بزيادة الألف والنون إلى الحرق ، يقال : الحرْق بالنار والحرَق مما والحرق[٣] من الدق محرك لا غير » .

المخصص لابن سيده (ج ٣ ص ٥٠) :

« وقالوا : جزاك الله خيرا والرحم بالنصب والرفع ، وجزاه الله شرا والقطيعة بالنصب لا غير » .

شرح المفضليات لأبي محمد الانباري (ص ٥٦٥) :

« أنكرته حين توسمته — والحرب غول ذات أوجاع

قال عامر : أنكرته شككت فيه ، يقال : أنكرت الرجل إذا كنت من معرفته في شك ونكرته إذا لم تعرفه ، قال الله عز وجل : نكرهم وأوجس منهم خيفة . قال أبو عبيدة يقال أنكرته ونكرته بمعنى واحد وكذلك استنكرته ، وأنشد بيت الأعشى :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت — مني الحوادث إلا الشيب والصلعا

أي إنما أنكرت شيبي وصلعي لا غير ، فأما كرمي وطبيعتي فلم أتغير عنهما » .

لسان العرب لابن منظور (ج ٤ ص ٣٤٦) :

« قال الجوهري : وأما قولهم : قدك بمعنى حسبك فهو اسم تقول : قدي وقدني أيضا بالنون على غير قياس لأن هذه النون إنما تزاد في الأفعال وقاية لها مثل ضربني وشتمني . قال ابن بري : وهم الجوهري في قوله : إن النون في قدني زيدت على غير قياس وجعل نون الوقاية مخصوصة بالفعل لا غير . وليس كذلك ، وإنما زاد وقاية لحركة أو سكون في فعل أو حرف كقولك في من وعن إذا أضفتهما إلى نفسك مني وعني فزدت نون الوقاية لتبقى نون من وعن على سكونها ، وكذلك في قد وقط تقول قدني وقطني فتزيد نون الوقاية لتبقى الدال والطاء على سكونهما . وكذلك زادوها في ليت فقالوا : ليتني لتبقى حركة التاء على حالها ، وكذلك قالوا في ضرب ضربني لتبقى حركة الباء على فتحها . وكذلك قالوا في اضرب اضربني أيضا أدخلوا نون الوقاية عليه لتبقى الباء على سكونها » .

وفيه في ج ٦ ص ٢٧٩ :

« العَمر والعُمْر والعُمُر : الحياة ، يقال : قد طال عَمره وعُمره ، لغتان فصيحتان ، فإذا أقسموا فقالوا : لعمرك فتحوا لا غير ، والجمع أعمار ، وسمى الرجل عمرا تفاؤلا أن يبقى[١] » .

فهل يرى السيد محمد عبد الله المدني أن شيخنا أبا العلاء وهؤلاء الأئمة المتقدمين كلهم أجمعين كانوا من اللاحنين ؟ ...

محمد إسعاف النشاشيبي

---

(١) في اللسان : ليل التمام بالكسر لا غير أطول ما يكون من ليالي الشتاء . وفي التاج : تمام الشيء ماتم به بالفتح لا غير ، وليل التمام ككتاب وفي النهاية : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم ليلة التمام هي ليلة أربع عشرة من الشهر لأن القمر يتم فيها نوره ، تفتح تاؤه وتكسر ، وقيل : ليل التمام بالكسر أطول ليلة في السنة وفي الأساس : أحيا ليل التمام والتمام وهو أطول ليلة في السنة .

(٢) لصاحب رغبة الآمل سيد على المرصفي (رحمه الله) تعليقات كثيرة على أقوال في الكلام ، ولم يقل هنا شيئا بل استعمل (لا غير) أيضا فقال في شرحه « يريد بالكسر فيهما لا غير ، وعن الزجاج قد يفتح قوام الأمر ، وعن أهل اللغة يقال ملاك الأمر بكسر الميم وفتحها وكلاهما نظام الأمر وما يعتمد عليه . الشطاط : حسن القوام وطوله أو اعتداله . وجاءت (لا غير) في الكامل في الرغبة جـ ٥ ص ٩٨ .

(٣) اللسان : الحرق احتراق يصيب الثوب من دق القصار ، ابن الأعرابي : النقب في الثوب من دق القصار جعله مثل الحرق الذي هو لهب النار .

(١) وردت (لا غير) في السفر الثاني (شروح سقط الزند) الذي حققته (لجنة إحياء آثار أبي العلاء المعري) والشارحون هم التبريزي والبطليوسي والخوارزمي ورجال اللجنة هم : مصطفى السقا ، عبدالرحيم محمود ، وعبد السلام هارون ، إبراهيم الأبياري ، حامد عبد المجيد . والتسمية كافية ، أسماؤهم فيها غنى عن وصفهم .

مجانين ...!

للأستاذ علي الطنطاوي

[تعليق على ما كتبه الصديق النبيل الأستاذ كامل الكيلاني في العدد ٦٧١ من الرسالة عن «نيوتن والوزير العباسي» مع تحياتي وأشواقي إليه ...] «علي»

إذا رأيتم رجلا يمشي في الطريق منفوشَ الشعر ، شارد النظر ، قد لبس معطفه على القفا ، ومشى على غير هدى ... قلتم إنه (مجنون) ... وقد يكون (مجنوناً) ، ولكنه قد يكون فيلسوفاً ... أو شاعراً ... أو رياضياً ... !

وإذا سمعتم أن رجلا لا يفرق بين السراويل والقميص ، ولا بين الجمعة والخميس ، قلتم إنه « مجنون » ... ولكن (أناتول فرانس) ، والعهدة على الراوي (جان جاك بروسّون) دعي إلى وليمة يوم الأحد ، فذهب يوم السبت ولبث ينتظر متعجباً من تأخر الغداء ، ولبثت ربّة الدار تنظر متعجبة من هذه الزيارة الفاجئة ، ثم لم يرض أن يصدق أنه يوم السبت ... فهل كان (أناتول) نابغة قومه في البلاغة وباقعة العصر مجنوناً ؟ !

وإذا شاهدتم رجلا يعتزل في كوخ ، أو ينفرد في غار ، لا يقبل على الدنيا ، ولا يكلم الناس قلتم إنه (مجنون) ، ولكن (الغزالي) عاف الدنيا وقد اجتمعت له ، والمجد وقد أقبل عليه ، والرياسة وقد أتته منقادة تسعى إليه ، وحبس نفسه في أصل منارة الجامع الأموي في دمشق ، فهل كان (الغزالي) حجة الإسلام وعلم الأعلام مجنوناً ؟ !

وإذا بلغكم أن إنساناً نسي اسمه قلتم إنه (مجنون) ، ولكن (الجاحظ) نسي كنيته وطفق يسأل عنها حتى جاءه ابن حلال بالبشارة بلقياها ، فقال له : أنت أبو عثمان ؟ فهل كان (الجاحظ) عبقري الأدب ، ولسان العرب مجنوناً ؟ .

* * *

ونيوتن ... وقد كانت في داره قطة ، كلما أغلق عليه بابه ، وقعد إلى كتبه ومباحثه ، أقبلت تخرمش الباب وتخشخش بأظفارها فتشغله عن عمله حتى يقوم فيفتح لها ، فلما طال عليه الأمر كدَّ ذهنه ، وأطال بحثه ، فاهتدى إلى المَخْلَص ... ففتح في أسفل الباب فتحة تمرّ منها فاستراح بذلك من شرها... ثم ولد لها ثلاث قُطَيْطات ففتح لكل واحدة منها فتحة ... لم يستطع هذا العقل الكبير الذي وسع قانون الجاذبية أن يتسع لحقيقة صغيرة : هي أن الفتحة الواحدة تكفي القطة الأم وأولادها !

وآمبير ... وقد كانت تعرض له مسائل في الطريق ، فلا يجد قلماً لها وورقاً ، فحمل معه حوّاراً[1] ، فكلما عرضت له مسألة ، ورأى جداراً أسود ، وقف فخط عليه ، فرأى مرة عربة سوداء واقفة ، فجعل يكتب عليها أرقامه ورموزه ، واستغرق فيها ، حتى سارت العربة ، فجعل يعدو خلفها وحوّاره بيده ، وهو لا يدري ما يصنع !

وهنري بوانكاريه ... وقد دعا قوماً إلى وليمة في داره ، وضرب لها الساعة السابعة موعداً ، فلما حل الموعد وجاء القوم ، كان مشغولا ... فدعوه فلم يسمع ، وألحوا عليه فلم ينتبه ، وكانوا يعرفون شذوذه ، فأكلوا وانصرفوا ... وقام بعد ساعتين فأمَّ غرفة المائدة ، فرأى الصحون الفارغة والملاعق المستعملة وبقايا الطعام ، فجعل يفكر : هل أكل أم هو لم يأكل ؟ ثم غلب على ظنه أنه أكل فعاد إلى عمله !

وأمر الله أفندي .. العالم التركي المشهور صاحب المَعْلَمة التركية[2] ، وقد كان يركب البحر كل يوم ما بين داره في (اسكدار) وعمله في (اسطامبول) ، فركب يوماً وكان إلى جنبه موظف كبير في السفارة البريطانية ، وكان في جيبه فستق حلبي ، وكان (أمر الله أفندي) مشغول الفكر ، فجال بيده وهو لا يشعر ، فسقطت في جيب البريطاني ووقعت على الفستق فأخرج منه فأكل ، وظنّ الرجل أنه مزاح ، فسكت ، ولكن الشيخ عاد وأوغل في الأكل حتى كاد يستنفد الفستق كله ، وكان الفلك مزدحماً ما فيه مفر للبريطاني من هذه الورطة ، فأحبّ أن يتلطف بالشيخ حتى يكف ، فسأله : كيف وجدت الفستق؟ قال : « عال ! » وعاد إلى تفكيره وأكله ؛ فقال له : ولكن ليس في جوار الدار مثله أشتريه للأولاد ، وإذا دخلت عليهم من

(١) الحوار : الطباشير لا بأس بعربيتها لأن التحوير هو التبييض .

(٢) أي دائرة المعارف ، وبالتسمية سموها (معلماً) على وزن (معجم) .

غير فستق بكوا ... قال الشيخ : « عجيب » ! وعاد إلى الأكل والتفكير ، فقال له : أفلا تتكرم بإبقاء شيء لهم ؟ قال : « بلى ، بكل امتنان» ، وأخرج طائفة من الفستق فدفعها إلى الإنكليزي وأكل الباقي !

وقد وُلّي وزارة المعارف وأعطي سيارة ، فكان كلما بلغت به السيارة المنزل ، وفتح له السائق الباب ، أخرج كيسه وسأله: كم تريد ؟ فيقول له : يا سيدي هذه السيارة لمعاليك ، فيتذكر ويقول : طيب !

وقد سألته امرأة مرة ، وكان يمشي أمام داره : أين دار وزير المعارف يا سيدي ؟ فقال لها : ومن هو وزير المعارف الآن؟

وصديقنا اللغوي العراقي عبد المسيح وزير(١) ... وقد دخل مرة غرفة غير غرفته في وزارة الدفاع ، وكان (طاب ذكره) من كبار موظفيها ، فرأى أثاثها على خلاف ما كان يعهد ، فغضب ودعا الفرّاش ، وقال له : حوّل هذه النضدة ، انقل هذا الهاتف(٢) ، اعمل كذا ، افعل ذاك ... فلما استوت له كما يريد ، نظر فقال : أهذه غرفتي ؟ ! قال : لا ياسيدي ، فانتقل إلى غرفته!

وكنا نزوره أنا وأنور ، فدعا لنا مرة بشاي وتدفق بالحديث ، وهو يشرب كأسه ، فلما فرغت ، وضعها وتناول كأس الأستاذ العطار فشربها ، ثم ثلّث بكأسي ، فلما جاء الفراش يأخذ الكؤوس ، قال : سألتكم بالله ، هل تريدون كأساً أخرى ؟ !

وشيخ الشام ومربي الجيل الشيخ طاهر الجزائري ، وقد حدثني الشيخ قاسم القاسمي أنهم احتالوا عليه حتى اشتروا له جبة جديدة وألبسوه إياها ، وذهبوا به إلى دمّر فجلسوا حول البركة العظيمة في منزل الأمير عمر ، وكان في المجلس الشيخ عبد الرزاق البيطار ، والشيخ جمال الدين القاسمي ، وجلّة العلماء ، فما كان من الشيخ طاهر إلا أن قام فنزع الجبة ، وجعل يغمسها في البركة ، ثم يدلكها بالتراب ، ثم يغمسها ، ثم علقها على غصن حتى جفت وتكرّشت فلبسها وقال : الآن استرحت ، إن الجبة الجديدة تشغل فكر صاحبها ، أما العتيقة فإنه لايبالي بها فينصرف إلى تفكيره ...

(١) وخبرت أنه وضع كتاباً في ذهول العلماء، ولم أره ، وأشكر أحد تلاميذي في العراق إذا تكرم فأهداه إلي

(٢) لايعرف التلفون في الشام إلا بالهاتف .

وصديقنا الكبير سامي بك العظم مفتش العدلية العام ، وقد حدثني من فمه أنه دعا (فلاناً) وكان رئيساً للوزراء إلى الغداء في داره في أقصى المهاجرين ، فلما كان اليوم الموعود جاء الرئيس بسيارته إلى باب المنزل ، فنزل منها وصرف السائق لئلا يطول عليه الانتظار ، واجتاز الحديقة الممتدة ، وصعد الدرج العالي ، وقرع الباب ، فلم يرد أحد عليه ، فعاد إلى البلد ماشياً في شمس الهاجرة من آب(١) . أما سامي بك ، فقد نسي الموعد ، ولم يكن في الدار أحد ، لأن أسرته في القاهرة ، فذهب فتغدى في المطعم!

وصديقنا الأديب العالم الراوية عز الدين التنوخي ، وقد دعا للبحث في إعداد مهرجان المتنبي من سنين جمهرة من أدباء البلد إلى المجمع العلمي يوم كان سكرتيره ، فلما جاؤوا وجدوا المجمع مغلق الباب ، فذهب بعضهم إلى دار الأستاذ يسأل عنه خشية أن يكون به مرض ، وإذا هو يشتغل بتحقيق كتاب أبي الطيب اللغوي ، وإذا هو يحدثهم عن الكتاب ، أما حكاية الدعوة ، فقد نسيها من أساسها !

***

أفكان هؤلاء ، وفيهم كل عبقري علَم ، وكل نابغة إمام ... أكانوا كلهم مجانين ؟

أما في رأي الناس ، فنَعَمْ !

ذلك لأن القافلة تمشي ، فمن سايرها عدّه أهلها عاقلا ، ومن تقدم عنها يسلك طريقاً جديداً قد يكون أقرب وآمن ، عدّوه مجنوناً ، كمن تأخر عنها ليتيه في مجاهل الصحراء !

لكن ذاك جنون العبقرية ، وهذا جنون المارستان !

إن العبقري شغل بالعلم فكره كله ، فلم يبق منه شيء لفهم الحياة ، فصار عند أهلها مجنوناً !

وبين جنون العبقرية وجنون المارستان نوع ثالث ، ألا وهو جنون الغرام :

وكل الناس مجنون ولكن ... على قدر الهوى اختلف الجنون

والهوى ... يا ويح الهوى ، ما أكثر شعابه ، وما أضلّ أوديته ؟ !

الهوى ... ومنذا الذي لم يته في واد من أوديته ، ولم يسلك شعباً من شعابه ؟

(١) أغسطس

إنّ من لم يهوَ الغيد الحسان ، هَـوِيَ الرياض والجنان ، أو الأصفر الرنان ، ومن لم تفتنه العيون التى فى طرفها حور ، فتنته الشهرة واستهواه الجاه ... كل الناس مجنون ، ولـكن أخطر المجانين : مجانين الهوى !

* * *

وهل فى الدنيا أشد جنوناً ممن ينكر الحياة ويعرض عنها ، لا يريد أن يبصر وجهها ، ويراها سـوداء فى عينيه لا تنيرها الشمس ولا يضوّيها القمر ، كل ذلك لأن (امرأة) لم تمنحه قبلة ... يا حفيظ ! اللهم إنا نسألك السلامة !

أما عرفتم مجنون « ليلى » ؟ هذا الذى زهد فى المجد والرفاهية والعلم والمال والجنة ... واجتوى حياة البشر ، وهام مع الوحش فى البرية ، وملأ أيامه حسرة وكآبة وغماً ، لأن ... لأن الله خلق عينى ليلى سوداوين فتانتين ، وجمل أنفها رقيقاً دقيقاً ، وبرأ فمها أحمر كالوردة ، حلواً كالسكر، صغيراً لا يعرف إلا لغة القبل ...

نعم ، إنه جُنّ لأن الله لم يخلق ليلى هذه قبيحة شوهاء !

لقد كان يعيش قبل أن يعرف ليلى كما كان يعيش سائر أبناء آدم ، وكانت حياته كاملة سعيدة من غير ليلى ، فاشتهى يوماً أن يدنو من امرأة كما يشتهى كل رجل ، فقادته المصادفة إلى ليلى ، فأرادها ... فلم يصل إليها فجُنّ ... ولو كان عاقلا لرأى فى كل امرأة فى الدنيا غناء من ليلى ... إن مثَـلَه مثل رجل أراد أن يدخل بيتاً له مئة باب ، فطرق باباً منها وعالجه ، فلم يفتح له ، فوقف يبكى وينتحب ، شوقاً إلى الدخول ، ويضرب الجدار برأسه ، والأبواب التسعة والتسعون مفتحة أمامه !

وإن لـكل رجل (ليلى) :

كل يغنى على ليـلاه متخذاً ليلى من الناس أوليلى من الخشب

فإن فاتته ليلى الناس أجزأت عنها ليلى الخشب ، فما بال قيس؟ أو لم يخلق الله فى النساء جميلة إلا ليلاه ؟ أوليست المصادفة هى التى ألقتها بين يديه ، ولو كان رأى سعدى أو سلمى ، لـكان مجنون سلمى أو سعدى ؟

* * *

وهذا مجنون آخر هو ستيفن مجنون ماجدولين :

ولقـد عرفته مذ نقله إلى الشرق إمام الـكاتبين المنفلوطى رحمة الله على روحه ، ثم رأيت وجهه الفرنسى الأصيل فى يوم كنت فيه أنا أيضاً مجنوناً يفكر بأعصابه لا بدماغه ، ويرى الدنيا كلها خلوة من خلوات الحب ، والحياة قصة من قصص الغرام ، والوجود كله وجه فتاة فتانة ... وقاتل الله الصبا وحماقات الصبا ... عرفته يومئذ فرأيته (بجنونى) بطلا من أبطال الحب ، وشهيداً من شهداء العاطفة ، ولـكنى عدت إليه اليوم ، وقد عقلت ، أو كدت ، فإذا هو ... أعوذ بالله !

يقول المجانين : إن الحب يطهر النفوس ويزكيها ، ويوسع آفاقها وينميها ، ويسمو بها ويعليها ، فتعالوا اسمعوا حديث هذا المحب الفرنسى ما صنع به الغرام :

هجر أباه وتبرأ منه ، وأنـكر حق أبوّته ... ثم ذهب أخوه إلى المعركة وخاف أن يسقط عن سرجه ، فبعث إليه يسأله ثمن سرج جديد ، فلم يرد عليه ، لأنه يحتاج إلى المال لينفقه فيما هو أهم ، يريد أن يستأجر به مقعداً فى المرقص يرى منه وجه ليلاه ، أى ماجدولينته ، فسقط أخوه عن سرجه ، ومات فى المعركة ... ثم فارق أباه وبقى فى العراء ، فأحسن إليـه واحد من أقربائه ، وأعطاه ما يبتغى من المال ، فـكانت مكافأته إياه على إحسانه أن سرق ماله ، ودفع فى صدره ، فعجل موته ...

فعل ذلك كله من أجل امرأة ، أضاع كل شىء ليجدها ، ولـكنها أعرضت عنه ، ومالت إلى غيره ... إلى صـديقه الذى قاسمه خبزه ، وشاركه فراشه ، صـديقه الذى سلبه سريره من تحته ، فباعه لينفق ثمنه على مآربه وهواه ، وهذا المجنون المغفل لا يحس ولا يدرى ، لأن الحب أعماه وأصمه . وهلْ رأيتم محباً له بصر ؟ أعرضتْ عنه ، ولها الحق فى الإعراض ... هل تتزوج مجنوناً ؟ إن الزواج إذا بنى على هذا الجنون الذى يسميه أصحابه « حباً » ، صار البيت من بعده مستشفى مجاذيب ، ومارستاناً من المارستانات ! !

تزوجت بغيره ، فذهب ينتزعها من زوجها الشرعى ، ويرى أنه أحق بها ، لأن اسمه واسمها منقوشان على شجرة زيزفون ...

ما شاء الله كان ! إنك تستطيع أن تأخذ المرأة من بين ذراعى زوجها ، لأنك حفرت اسمها مع اسمك على شجرة ... اسمعوا يا عقلاء (وأين العقلاء) شريعة المجانين ... اسمعوا منطق الحب !

هذا هو الحب الفرنسي : تفريط بحق الأسرة ، واستهانة بواجبات الشرف والدين ، واستئثار قاتل يمحو من الحياة أسمى فضائلها ، لهذه اللذة التي ينالها ، ويفقر النفس العامرة بالإيمان والفضيلة والمجد ، ولا يبقى فيها إلا صورة الحبيب ، يراه العاشق في الأفق إذا نظر إليه والشمس واقفة للوداع ، وفي السماء إذا تأمل فيها ونجومها تتوقد في هدأة الليل ، وفي صفحة الماء والروض البهيج ، وفي كل كتاب يقرؤه ، ومشهد يراه :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما   تمثّل لي ليلى بكل سبيل

فيا رحمتا لهؤلاء المجانين ! إنهم عُمْي لا يبصرون من الدنيا إلا وجه امرأة واحدة ... صُمّ لا يسمعون إلا صوتها ... بُلْه لا يشتغلون إلا بها ... مجرمون لا يبالون بكل رذيلة إذا أوصلتهم إليها ... أذلاء لأنهم فقدوا الرجولة والكرامة ، وغدا المثل الأعلى لهم أن يطيعوا هذه الرعناء الطائشة ... لأن لها عيناً بلون السماء وزرقة البحر ...

هذا هو الحب يا أيها الشباب الصغار !

* * *

كل عاشق هو (ستيفن) ، ولو تنائت الديار ، وتباعدت الأزمان ، فاقرأوا سيرة ستيفن تقرأوا سيرة كل عاشق ...

لقد ارتضى أن يخسر كل شيء ليربح ماجدولين ، فلما خسرها لم يبق له شيء ... لقد غدا مجنوناً ... وهل يمكن أن يكون محب عاقلا ؟ ها هو ذا يحرق الورقة المالية التي لا يملك غيرها ... ليقرأ على ضيائها رسالة الشيطانة ... أعنى الحبيبة ، ويبقى من بعدها طاوياً يتضور جوعاً ، لا يدرى أن أحلام الحب وحماقاته لا تملأ المعدة الفارغة ، وأن الرغيف الواحد أثمن عند الجائع من كل ما في الأرض من لَيْلَيات وماجدولينات ... لقد غدا تائهاً يدور في السبل والطرقات ... وينام حيث يدركه النام ... لقد صيّره الحب موجوداً كالمعدوم ... صار عضواً من الأمة أشلّ لا ينفع ولا يضر ، بل إنه يضر ولا ينفع ! !

لقد سَدّ في وجهه طرقَ المجد ، وحجب عن باصرتيه نور الشمس ، فلم يبق فيه فائدة لنفسه ولا للناس ، بل لقد صار هُزْأَة وغدا مَسْخَرة ... وكذلك يكون العاشقون !

وينال هذا المجنون خمسة عشر ألفاً يستطيع أن يصنع بها الجلائل ، ويرفع بها لنفسه ولأمته مجداً ... فما ذا صنع بها ؟ دفعها إلى عابر سبيل لا يعرفه ... فما أكرم هؤلاء العشاق الذين يمنحون ثروتهم كلها إلى من لا يعرفون ، ويضن الواحد منهم على أخيه بثمن سرج لفرسه ، ويتركه يموت في المعركة ... !

ثم يأتيه المال الوفير ، فينفقه في أتفه الأمور وأحط الرذائل ، يستأجر مقاصير المسرح كلها ، ويرى الرواية وحده ... لما ذا ؟ ليغيظ المرأة التي أحبها فتزوجت بغيره ، لأنها تريد أن يكون زوجها رجلا مثل الرجال ، لا امرأة لها شاربان ولحية ولا عقل لها ،

ثم يترقى ستيفن في فضائل الحب ، فينتهي إلى الغصب والنهب من حانة ... ويعلن جنونه ليهدم به الحياة البشرية ، فيزعم أن الحب أقدس الواجبات ، والزواج شر الرذائل ، ثم تختم هذه الحياة النبيلة ... السامية ... بجريمة القتل !

هذا هو مجنون ماجدولين ، وذاك مجنون ليلى ... أما سائر المجانين ، فهم بقية العاشقين !

* * *

فإذا كان في الدنيا جنون عبقرية ، وجنون مارستان ، فإن جنون الهوى هو جنون الإجرام ، لا سيما إذا كان هوى على الطريقة الفرنسية ...

فيا أيها الشباب الصغار ! إذا لم يكن بدّ من الجنون ، فلنجنّ بالمعالي والمكارم والعلم والفن ، أو لنسكن المارستان ...

أما المرأة ، فصدقوني إذا قلت لكم : إنها لا تستحق أن يُجنّ بها أحد ! !

(دمشق)   **علي الطنطاوي**

على هامش النقد :

« دفاع عن البلاغة »

تأليف الأستاذ الزيات

للأستاذ سيد قطب

— ١ —

شغلتني الشواغل عن قراءة هذا الكتاب عند ظهوره ، اعتماداً على أنني قرأت معظم فصوله منشورة فى « الرسالة » … فلما عدت إليه فى هذه الأيام ، وأنا أستعرض كتب النقد الحديث فى المكتبة العربية عامة ، وجدت أننى كنت مخطئاً فى اعتمادى على ما قرأته فصولا فى الرسالة . فقراءة هذه الفصول شىء ، وقراءة كتاب كامل فى موضوع معين شىء آخر . ووجدت أن القضية التى يعرضها الكتاب جديرة بأن تطول حولها الشروح والتعليقات ، والمناقشات ، فى هذا الأوان بالذات .

فللمرة الأولى بعد كتابَىْ « عبد القاهر » فى القرن الرابع الهجرى ، تعرض قضية البلاغة على بساط البحث فى هذا المحيط الشامل ، وتناقش بوصفها وحدة فى بحث مستقل ، لا فى صدد دراسة لكاتب أو كتاب[1] .

ونحن قد نخالف الأستاذ فى الكثير من قضايا هذا الكتاب كما نوافقه على أسس معينة لهذا البحث . ولكن هذا كله شىء آخر لا يمس القيمة الذاتية للكتاب فى المكتبة العربية بوصفه أول علاج شامل لقضية البلاغة بعد كتابى عبد القاهر . لا يقف فيه مؤلفه عند الأدب العربى وحده ، بل يسترشد كذلك بالنقاد الفرنسيين ، وبتطور المذاهب الأدبية هناك ، كما يسترشد بالنقاد العرب ، وتطور الأساليب فى العصر الحديث .

وعنوان الكتاب قد يدل على موضوعه دلالة كافية « دفاع عن البلاغة » والأستاذ الزيات أولى الكتاب المعاصرين بالدفاع عن البلاغة . فهو صاحب « مذهب التنسيق التعبيرى » كما وضعت له عنوانه فى كتابى القادم : « المذاهب الفنية المعاصرة » . ذلك المذهب المتفرع عن المنفلوطى ، صاحب « مذهب الابتداع التعبيرى » . والذى يجعل للتعبير وتنسيقه أهمية كبرى فى الفن بل الذى يجعل الفن هو أساس هذا « التنسيق التعبيرى » .

* * *

نحن نتفق مع الأستاذ فى أساس القضية ، وهو أن العمل الفنى فى الأدب لا يوصف بالجودة إلا أن يتهيأ للفكرة الجيدة ، أو الإحساس الجيد ، أسلوبا جيدا ، وعبارة جيدة . وأن التعبير ليس نافلة فى العمل الفنى فى الأدب ، وأنه لا يفسد ويرك ويتعقد ثم تبقى لهذا العمل قيمته الفنية .

« فالفكرة والصورة فى الأسلوب كل لا يتجزأ ، ووحدة لا تتعدد . وليس أدل على اتحادهما من أنك إذا غيرت فى الصورة تغيرت الفكرة ، وإذا غيرت فى الفكرة تغيرت الصورة . فقولك : أعنيك ، غير قولك : إياك أعنى . وقولك : كل ذلك لم يكن ، غير قولك : لم يكن كل ذلك . وقولك : ما شاعر إلا فلان ، غير قولك : ما فلان إلا شاعر . فترتيب الألفاظ فى النطق لا يكون إلا بترتيب المعانى فى الذهن … ص ٦٠

« من ذلك نرى أن الأسلوب خلق مستمر : خلق الألفاظ بواسطة المعانى ، وخلق المعانى بواسطة الألفاظ . ومن ذلك أن الأسلوب ليس هو المعنى وحده ، ولا اللفظ وحده ، وإنما هو مركب فنى من عناصر مختلفة ، يستمدها الفنان من ذهنه ومن نفسه ومن ذوقه . تلك العناصر هى الأفكار والصور والعواطف ثم الألفاظ المركبة ، والمحسنات المختلفة . والمراد بالصورة إبراز المعنى العقلى أو الحسى فى صورة محسة . وبالعاطفة تحريك النفس لتميل إلى المعنى المعبر عنه أو لتنفر منه » . ص ٦٢

أوافق الأستاذ على هذا الأساس الذى عبرت عنه على طريقتى فى كتاب « التصوير الفنى فى القرآن » والذى سبقنا إليه الإمام عبد القاهر فعبر عنه على طريقته فى كتابه « دلائل الإعجاز » .

ولقد قررت هذه الحقيقة هناك بهذه الفقرات :

« وبعض الناس حين ينظر فى هذه الموضوعات (موضوعات القرآن) ويرى ما فيها من دقة وعظمة ، وصلاحية ومرونة ،

(١) يقال : إن هذه القضية عرضت فى كلية الآداب بالجمعة المصرية وأنا لا أدري كيف عرضت هناك ولا فى أى محيط عرضت . وأحسب أن الناس كذلك لا يدرون شيئا عن هذه المحاولة الموضعية .

وإحاطة وشمول ، يحسبها ميزة القرآن الكبرى ، ويحسب أن طريقة التعبير القرآنية تابعة لها ، وأن الإعجاز كله كامن فيها ، كما أن بعضهم يفرق بين المعانى وطريقة الأداء ، ويتحدث عن إعجاز القرآن فى كل منهما على انفراد .

« أما نحن فنريد أن نقول : إن الطريقة التى اتبعها القرآن فى التعبير ، هى التى أبرزت هذه الأغراض والموضوعات ، فهى كفاء هذه الأغراض والموضوعات .

« ولا يردنا هذا إلى تلك المباحث العقيمة حول اللفظ والمعنى وقد استغرقت من النقاد العرب ما استغرقت منذ أثارها الجاحظ فزعم أن المعانى ملقاة على قارعة الطريق ، ثم تابعه فى البحث ابن قتيبة وقدامة وأبو هلال العسكرى وغيرهم مخالفين ومؤيدين . وإنا لنحسب أن « عبد القاهر » قد وصل فيها إلى رأى حاسم حين انتهى إلى أن اللفظ وحده لا يتصور عاقل أن يدور حوله بحث من حيث هو لفظ ، إنما من حيث دلالته يدور البحث فيه ؛ وأن المعنى وحده لا يتصور عاقل أن يدور حوله بحث من حيث هو خاطر فى الضمير ، إنما من حيث أنه ممثل فى لفظ يدور البحث فيه . وأن المعنى مقيد فى تحديده بالنظم الذى يؤدى به ، فلا يمكن أن يختلف النظمان ثم يتحد المعنى تمام الإتحاد .

« لم يصغ « عبد القاهر » القضية هذه الصياغة المختصرة ، فنحن نترجم عنه ، وإلا فقد استغرق فيها كتابا لا نستطيع نقله هنا ، ولكن له فضله العظيم فى تقرير هذه القضية ، ولو خطا خطوة واحدة فى التعبير الحاسم عنها لبلغ الذروة فى النقد الفنى . فنحن نقول عنه : إن طريقة الأداء حاسمة فى تصور المعنى ، وإنه حيثما اختلفت طريقتان للتعبير عن المعنى الواحد ، اختلفت صورتا هذا المعنى فى النفس والذهن . وبذلك تربط المعانى وطرق الأداء ربطا لا يجوز الحديث بعده عن المعانى والألفاظ كل على انفراد ، فلن يبرز المعنى الواحد إلا فى صورة واحدة ؛ فاذا تغيرت الصورة تغير المعنى بمقدارها . وقد لا يتأثر المعنى العام فى ذاته ، ولكن صورته فى النفس والذهن تتغير . وهى المعول عليها فى الفن — إذ التعبير فى الفن للتأثير — فإذا اختلف الأثر الناشىء عنه فالمعنى المنقول مختلف بلا مراء » . ص ١٩٠

ويرتب الأستاذ الزيات على هذه الحقيقة نتائجها الطبيعية التى رتبها عليها بعض النقاد فى الشرق والغرب ، ولكن فى شىء من الحماسة قد يجاوز القصد . قال فى ص ٦٦

« وقد غالى علماؤنا البيانيون ، فزعموا أن المعانى شائعة مبذولة لا يملكها المبتكر ولا السابق ، وإنما يملكها من يحسن التعبير عنها ، فمن أخذ معنى بلفظه كان سارقا ، ومن أخذه ببعض لفظه كان له سالخا ، ومن أخذه فكساه لفظا أجود من لفظه كان هو أولى به ممن تقدمه[1] .

« على أن هذا الرأى الجرىء لم يكن من رأى العرب وحدهم وإنما رآه معهم (بوفون) وأشياعه من كتاب الفرنج ؛ فقد قرر فى خطبته عن « الأسلوب » التى ألقاها يوم دخل الأكاديمية الفرنسية : إن الأفكار والحوادث والمكتشفات شركة بين الناس ، ولكن الأسلوب من الرجل نفسه .

« نعم قال (بوفون) : إن الأسلوب من الرجل نفسه ، ولم يقل : إن الأسلوب هو الرجل ، كما شاع ذلك على الألسنة . ولم يرد بما قال ، إن الأسلوب ينم عن خلق الكاتب ، ويكشف عن طبعه كما فهم أكثر الناس ؛ وإنما أراد أن الأسلوب ، ويعنى به النظام والحركة الودعين فى الأفكار ، هو طابع الكاتب وإمضاؤه على الفكرة ؛ ومعنى ذلك أن الأفكار تكون قبل أن يفرغها الفنان فى قالبه الخاص ، من الأملاك العامة ؛ فإذا عرف كيف يصوغها على الصورة اللازمة اللائقة تصبح ملكا خالصا له ، تسير فى الناس موسومة بوسمه ، وتعيش فى الحياة مقرونة باسمه ، فالأسلوب وحده هو الذى يملك الأفكار وإن كانت لغيرك . ألا ترى أن أثر الأخلاق فى بقاء الأمم وفنائها معنى من المعانى المأثورة المطروقة ، فلما أجاد شوقى سبك اللفظ عليه فى بيته المشهور :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

أصبح بهذه الصيغة من حسناته المعدودة ، وأبياته المروية ! »

ونحن — على اتفاقنا مع الأستاذ فى المبدأ السابق — نختلف معه هنا كما نختلف مع الجاحظ صاحب نظرية المعانى الملقاة على قارعة الطريق .

فإن كون العمل الفنى يتألف من المعنى والصورة ، بحيث

(١) الصناعتين ص ١٤٦ .

لا يمكن الفصل بينهما . لا يقتضى أن تكون الصورة وحدها هى العمل الفنى الذى يثبت ملكيته لمن يجيده ، ولا يقتضى كذلك أن تكون جودة الصياغة كفيلة برفع المعنى إلى مرتبة الجودة ، كما جاء فى بحث الأستاذ فى مكان آخر حيث يقول فى ص ٧٣ :

« إذا حلى فى صدرك بعد ذلك أن تذهب إلى ما ذهبت إليه من أن تجويد الأسلوب يتضمن تجويد الفكرة ويضمن خلودها فدعك من أولئك الذين عادوا الكمال الفنى بطبائعهم .. الخ »

أو حيث يقول فى ص ٢٦ :

« وليس أدل على أن الشأن الأول فى البلاغة إنما هو لرونق اللفظ وبراعة التركيب ، من أن المعنى المبذول أو المرذول أو التافه قد يتسم بالجمال ، ويظفر بالخلود ، إذا جاد سبكه وحسن معرضه . ولا بأس أن أقدم إليك مثلا من آلاف الأمثلة ، بلغ معناه الغاية فى السوقية والفحش ، ومع ذلك تحب أن تسمعه وتحفظه وتعيده لأنه بلغ من سر الصناعة غاية تطلع دونها أكثر الأقلام .

« قال أبو العيناء الأعمى لابن ثوابة : بلغنى ما خاطبت به أبا الصقر ، وما منعه من استقصاء الجواب إلا أنه لم يرعرضا فيمضغه ، ولا مجدا فيهدمه .

« فقال له ابن ثوابة : ما أنت والكلام يا مكدى[1] ؟

« فقال أبو العيناء : لا ينكر على ابن ثمانين سنة ، قد ذهب بصره ، وجفاه سلطانه ، أن يعوّل على إخوانه ، ثم رماه بمعنى فاحش مكشوف . فقال ابن ثوابه :

« الساعة آمر أحد غلمانى بك .

فقال أبو العيناء :

« أيهما ؟ آلذى إذا خلوت ركب ، أم الذى إذا ركبت خلا ؟ »

فانظر فى هذه الجملة الأخيرة تره رمى ابن ثوابة فى نفسه وفى زوجه ، وهما معنيان سوقيان يترددان كل ساعة على ألسنة السبابين من أوشاب العامة . وإنك مع ذلك تقف من هذه الجملة موقف المشدوه المعجب ، تحركها لسانك ، وتعمل فيها فكرك ، وتعرضها على مقاييس البلاغة وشروطها ، فتطول على كل قياس وتزيد على كل شرط » .

(١) المكدى : من يسأل الناس .

إلى أن يقول فى ص ٢٨ :

« وأنت ترى أن الصياغة وحدها هى التى سمت بهذه المعانى الخسيسة إلى أفق البلاغة فتداولتها الألسن ، وتناقلتها الكتب . وليس حال المعنى فى ذلك حال اللفظ ، فإن اللفظ فى ذاته كالموسيقى يخلب الأذن ، ويلذ الشعور وإن لم يترجم . أما المعنى فكالكهرباء ، إذا لم يكن لفظه جيد التوصيل ، انقطع تياره ، فلا يعرب ولا يطرب . اقرأ قول القائل :

لما أطعنا كم فى سخط خالقنا لاشك سلّ علينا سيف نقمته

« ثم وازن معناه الشريف ونسجه السخيف ، بما رويت لك من كلام أبى العيناء ، فلا يسعك إلا أن تقول كما أقول :

« إن القـذر يوضع فى آنية الذهب فيقبل ويحمل ، وإن المسك يوضع فى تافجة الطين فيرفض ويهمل »

ونريد نحن أن نقف عند الحقيقة الأولى التى اتفقت فيها مع الأستاذ كل الاتفاق ، فتجاوزها قد يوقع فى الزلل

والسبيل الأقوم فى هذا المجال أن نقول :

إن العمل الفنى لا يكون بالفكرة الجيدة المبتكرة وحدها ، ولا بالإحساس الصادق الجميل وحده ، إنما يتم بالصورة الجميلة التى يبرز فيها المعنى والإحساس

أما الصورة وحدها ، فلا تستطيع أن تخلق فناً إنسانياً خالداً إذا خلا من الإحساس الجميل الصادق ، ومن الفكرة العميقة المبتكرة ، ومن التصور الفذ الخاص ، هذه العناصر التى يجب أن يحسب لها حسابها فى كل فن يراد له السمو أو الخلود

وأقصى ما تصل إليه الصياغة أن ترفع المعنى أو الإحساس فى صورة عنه فى صورة أخرى ، ولكنها لا ترفع بذاتها عملا فنياً على عمل فنى آخر ، إذا ارتفعت فى الأول مع سفول معانيه ، وانخفضت فى الثانى مع ارتفاع قيمته

إنها تصلح مقياساً حين تتحد الفكرة أو المعنى العام ثم تختلف الصورة ، ولكنها لا تصلح للقياس الدقيق حين يكون هناك فكرتان أو معنيان يختلفان فى قيمتهما الإنسانية والشعورية

وهذه كلة أبى العيناء ، إنها ستبقى — على براعة صياغتها — مجرد نكتة لاذعة ، لا تتسامى إلى الآفاق الشعورية فى الفن العالى ، وكذلك سيبقى بيت « شوقى » حكمة مكرورة شائعة ، ولكنها

لا تسلك فى مستوى الحكمة النابعة من طبع ذى خصوصية وامتياز . أما البيت الذى استشهد به الأستاذ على ما تصنعه الركة بالمعنى العالى ، فهو صالح كذلك للاستشهاد به على سوقية التفكير، إذ لا خصوصية ولا ارتفاع عن تفكير العوام

والخصوصية فى الأحاسيس والمشاعر والأفكار شىء ثابت ، وله قيمته التى لا تنكر ، وهى مناط الأصالة فى الفن ، وكل ما نريده هو القول بأن هذه الخصوصية لا تبدو كاملة إلا فى صورة جيدة الصياغة ، وفى أصالة أسلوب وتعبير تكافئ أصالة الشعور والتفكير ، وإلا بقيت مطموسة ناقصة لا تبدو فى جلالها الكامل ، ولا ترق إلى الآفاق العالية فى الفنون

وقد تحدث الأستاذ عن الأصالة والخصوصية فى الأسلوب حديثاً فى غاية الجودة والصحة حين قال فى ص ٨٢ :

« يراد بالأصالة فى الأسلوب بناؤه على ركنين أساسيين من خصوصية اللفظ وطرافة العبارة ، وتلك هى الصفة الجوهرية للأسلوب البليغ ، والسمة المميزة للكاتب الحق . وملاك الأصالة ألا تكتب كما يكتب الناس ، ملاكها أن تكون أصيلا فى نظرتك وكلمتك وفكرتك وصورتك ولهجتك ، فلا تستعمل لفظاً عاماً ، ولا تعبيراً محفوظاً ، ولا استعارة مشاعة . ولعلك قرأت فيما قرأت كلاماً يرضى اللغويين ويعجب النحاة ، ولكنه مضطرب الدلالة ، مختلط الألوان ، تفه المذاق ، لا تستقله روح ، ولا تمثله صورة . ذلك هو الأسلوب الذى صدر عن الذاكرة ، ولم يصدر عن الذهن ، ونقل عن الناس ولم ينقل عن النفس ، وعبر بالجمل لا بالكلمات ، وأبان بالتقريب لا بالدقة ، وصور بالسوقى المبتذل لا بالأصيل المبتكر »

وكان من حق الأصالة فى الشعور والتفكير أن تنال من الأستاذ ما نالته الأصالة فى الأسلوب والتعبير ، فالمعانى والأحاسيس ليست شائعة ملقاة على جانب الطريق ، وإلا فأين تذهب الطبائع الأصيلة الممتازة التى ترى الدنيا والأشياء بعين خاصة ، فإذا هى تعيش فى كون خاص بها من صنع أحاسيسها وتفكيرها ؟

تلك فلتة من فلتات الحماسة للبلاغة من صاحب « دفاع عن البلاغة » يرد بها الغلو فى إنكار قيمة التعبير ، فيجعل المزية كلها للتعبير

على أن الأستاذ يعود فيضع الأمر فى نصابه إلى حد كبير فى ص ٧٨ حين يقول :

« خلص لنا من مخض هذه الأحاديث أن الأسلوب الفنى يتكون من الصورة والفكرة ، كما يتكون الماء القراح من الهدروجين والأكسيجين . وكما استحال فى فن الطبيعة أن يتكون الماء من أحد عنصريه ، فقد استحال فى فن الإنسان أن يتكون الأسلوب من أحد جزأيه . ولا أقصد وجه الشبه بين الأسلوب والماء ، على أن تركب هذا وذاك من عنصرين ضربة لازب ؛ إنما أمد الشبه إلى أن نسبة الصورة إلى الفكرة فى الأسلوب يجب أن تكون كنسبة الهيدروجين إلى الأكسيجين فى الماء ! وإذن لا يعد من الأساليب الفنية تلك المعانى الحكيمة التى تعرض فى معرض بشع من الركاكة والغثاثة والتعقيد والخطأ ، ولا تلك الصور المموهة التى تنتفخ انتفاخ الفقاقيع ، وتبرق بريق الشرر ، ثم لا يكون من ورائها غير فراغ وظلمة »

فى هذا التقرير قصد ودقة تعود بنا إلى الحقيقة الأولى التى اتفقنا عليها ، وتحسب لكل من الفكرة والصورة حسابها الصحيح

للكلام بقية

سيد قطب

الأدب في سير أعلامه :

ملـــتن

[القيثارة الخالدة التي غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والجبال ...]

للاستاذ محمود الخفيف

— ١٦ —

بعد أوبته من إيطاليا :

آب ملتن إلى وطنه بعد أن غاب عنه سنة وثلاثة أشهر ! وكانت الحرب بين انجلترة واسكتلندة في أولى مراحلها ؛ وكانت السياسة الداخلية دائبة في عصفها لا تكاد تجنح إلى السكون حتى تهب ريحها عاتية من كل جانب .

وكان يتوقع منه بادى الرأى وقد آثر العودة إلى بلاده على المضي في رحلته حياء منه ، كما ذكر، أن يستمتع بالرحيل والأحرار في وطنه يعانون ضروب البلاء ، أن يلقى بنفسه في غمار السياسة أنفة منه وحفاظا ودفاعا عن الحرية التي يعشقها والتي ركب في فطرته الميل إلى نصرتها ؛ ولكنه ركن إلى الدرس ولاذ بالعزلة كما كان يفعل قبل رحيله .

وقد ملأ الحزن جوانب نفسه على صديقه ديوداتي ، وآلمه ألا يجد مكانه من يستطيع أن يفضى إليه بأنباء رحلته ، ويظهره على ما لقى أثناءها من حفاوة وما اكتسب من حسن السمعة وذهاب الصيت .

والتمس العزاء لنفسه في مرثية كتبها فأدى بها حق الوفاء لصديقه . وقد اختار لها اللغة اللاتينية كما اختار لها الجو القروى وصور الرعاة وحياتهم ، والذين يعرفون اللاتينية ممن كتبوا حياة ملتن على اتفاق أنها من حيث الفن في ذاته لا تنزل عن مستوى مرثيته ليسيداس ؛ وأنها من حيث العاطفة أعمق وأصدق من أختها لأن صلة ديوداتي بملتن كانت أوثق من صلة كينج به ، فقد كان ديوداتي قرينه منذ صغره وأقرب خلانه إلى قلبه وأشدهم محبة له ؛ وأخذ ملتن يذكر له في مرثيته ما كان يحب لولا أن طواه الموت أن يلقيه على سمعه ؛ وجعل ملتن من نفسه ومن صاحبه راعيين كما فعل في ليسيداس ، وأثنى على خلال صاحبه ولا سيما وفاءه وذكاءه ومرحه وتألم أن كان بعيداً عن وطنه في غير ضرورة ملجئة فلم ير نهاية صديقه . وأشار ملتن في هذه المدينة إلى أنه سوف يجد العزاء في الشعر فيكتب إلياذة عن تاريخ قومه وأساطيرهم جاعلا الملك آرثر وفرسانه أبطال ملحمته متخذاً اللغة الإنجليزية أداته ؛ ولكن هذه الملحمة التي وعد بها ظلت مجرد وعد فقد صرفته عنها شواغل السياسة والدين كما صرفته عن الشعر جميعاً اللهم إلا بضع مقطوعات قصيرة زهاء عشرين عاما ...

وكما أطلق ملتن على ادوارد كنج اسم ليسيداس أطلق هنا على ديوداتي اسم دامون ؛ وكان دامون من مشاهير الفلاسفة ورجال الموسيقى بأثينا ، وكان صديقا وأستاذاً لبركليس؛ وقيل إنه كان كذلك أستاذاً لسقراط ، وكان مضرب المثل في الوفاء ، فقد اقترف أحد أصحابه جريمة كان قصاصها القتل ، وعول ملك سيرا كوز على قتله فاستأذنه أن ينصرف ليقوم على بعض شؤون أسرته ثم يعود لينفذ فيه القصاص . وتقدم دامون فرضى أن يكون رهينة عند الملك ليقتله بدل صاحبه إن لم يعد في موعده ؛ وحل الموعد وهم الملك بقتل دامون فجاء صاحبه معجلا فأنقذه ؛ وأثر وفاء الرجلين في نفس الملك فعدل عن قصاصه وطلب إليهما أن يكون ثالثهما في هذه الصحبة الوثيقة [1] .

ونجد في اختيار ملتن هذا الإسم لصاحبه شاهداً من شواهد فنه ، فهو يلمح كما ذكرنا من قبل إلى المعنى الواسع بالكلمة الواحدة ...

واختتم ملتن مرثيته بإشارته إلى موت صاحبه ولم يتزوج ، فذكر الحب وقال إن من حق الشباب أن يحب ، وأن الذي يذوق طعم الحب وقد تقدمت به السن يذوق طعم الحسرة مضاعفا ؛ ثم يبشر صاحبه بأنه سيلقى في الجنة خير العوض عما فاته في الدنيا فيستمتع بزواج خالد في عرس بهيج من أعراس الفردوس .

ويجد بعض الكتاب في ذكره الحب وأنه من حق الشباب وفي تألمه على موت صاحبه ولم يتزوج تلميحا منه إلى حالته هو ،

(١) (الرسالة) : هذه القصة هي بعينها قصة حنظلة وشريك بن عمرو والنعمان ؛ راجع (الميداني) في شرح المثل : إن غداً لناظره قريب .

وإن خفى هـذا التلميح ، ويقولون إن ملتن كان يفكر يومئذ فى الزواج وإنه قد مل أن يعيش أعزب .

على أنه يعود إلى القراءة فى إقبال لا يقل عن سالف إقباله عليها أثناء مقامه فى هورتون ؛ وقد اتخذ له بعد أوبته من إيطاليا مسكنا فى لندن فلم يعد إلى القرية . ورضى أبوه الشيخ أن يمده بما يطلب من المال وإن كان لا يزال يعجب ويتألم ألا يتخذ ابنه عملا إلا مالا يبرح يردده من تثقيف نفسه ليكون أهلا لما يستشرف له فى دنيا الأدب ؛ وراض الرجل نفسه على سماع هذا وعلى الجود بما يطلب ابنه من المال . والحق أن ابنه لم يطلب منه كثيراً فما كانت به حاجة إلى متع الحياة ولذاذاتها مما يتطلب مالا كثيراً وحسبه من المال ما يشترى به قوته وما يلزم له من الكتب وما يدفع منه أجر مسكنه ...

وضاق المسكن الجديد بكتبه ما اقتناه منها فى هورتون وما اشتراه من إيطاليا ، فاتخذ له مسكنا أوسع منه فى أطراف المدينة. وهناك عكف على القراءة والدرس تاركا الشؤون العامة إلى « عناية الله أولا ثم إلى من وكل إليهم الناس القيام على هذه الشؤون » .

وأشرف ملتن فى مسكنه الجديد على تعليم ابنى أخته وقد قبلهما ليقيما عنده بعد موت أبيهما وزواج أمهما من غيره ، وما لبث أن ضم إليهما عددا من أبناء أصحابه الأقربين ، وأقبل على تعليمهم جميعا فى حماسة ولذة لا تقل عن شغفه بالقراءة والدرس . ولقد عجب دكتور جونسون من عمله هذا وسخر منه فأشار إليه بقوله : « إنه ينظر بشيء من الفكاهة إلى ذلك الرجل الذى يبادر بالعودة إلى وطنه لأن قومه يكافحون فى سبيل الحرية ، ولكنه لا يلبث وقد بلغ ميدان العمل أن يدع وطنيته تتبخر فى مدرسة يفتحها فى بيته » .

وأقبل ملتن على تعليم هؤلاء الصبية وعلى القراءة فلا يدع ساعة من نهاره إلا ملأها بعمل حتى أيام الآحاد لم يدع فيها كتبه وأوراقه إلا ريثما يؤدى واجب الدين . ونتبين مما كتبه أحد ابنى أخته فيما بعد عن حياته وأخيه فى بيت خالهما أنه كان يأخذهما بالجد فى غير هوادة ومن كان معهما من أبناء أصحابه ، ولكنا لا نتبين فيما كتب أن ملتن قد اهتدى إلى طريقة خاصة فى التعليم أو أنه جرى على أسلوب اقتنع بسلامته وفائدته ، فكل ما ذكره ابن أخته لم يعد الكم ؛ فهو يباهى بأنهم قرأوا كثيرا وتعلموا كثيرا ...

بهذا الدأب وبهذه العزيمة أقبل ملتن على العمل بعد عودته من إيطاليا . على أن ابن أخته يذكر من أنباء تلك الأيام أن خاله كان ينصرف عن العمل كل ثلاثة أسابيع أو كل شهر مرة فيقضى يوما بين نفر من صحابته يستمتعون بالمرح واللهو البرىء .

وماذا كان يقرأ ملتن بعد أوبته من إيطاليا ؟ إنه اليوم شديد الولوع بالتاريخ وعلى الأخص تاريخ قومه ، وإن الملحمة التى داعبت خياله فى إيطاليا عن تاريخ قومه أو الآرثريادة ليعاوده حلمها اليوم ويلح عليه . ولقد أشار إليها كما ذكرنا فى مرثيته عن صديقه ديوداتى ؛ كما أنه أثبت كثيرا مما يتصل بها فى كشكوله الذى اتخذه منذ إقامته فى هورتون ليكتب فيه كل ما يعن له من الآراء والملاحظات ...

وأثبت ملتن فى تلك الكراسة من الإشارات ما يدل على دراسة شؤون السياسة ، كالمعضلة المالية والضرائب والملكية والجمهورية وحرية الرأى وحرية النشر والقوانين والاستبداد ، وغيرهما مما يتصل بأحوال عصره .

ولن يزال يقرأ ويتدبر ، ولن يزال يعتقد أنه لم يفرغ بعد من أهبته لما يجب أن ينهض له من عمل فى دنيا الشعر ، نجد دليلا على ذلك فى قوله إنه يساير « ذلك التلقين الباطنى الذى يزداد يوما بعد يوم فيوحى إلى أنه بالجد والدراسة المقصودة وهو ما أعده حظى فى هذه الحياة مضافا إلى ذلك ميل فطرى قوى ، قد يتأتى لى أن أترك أثرا كتبته لمن يأتى بعدى من الأجيال لا يدعونه إلى النسيان » .

وما عسى أن يكون ذلك الأثر ومتى ينهض له ؟ لعل الشاعر لم يكن أكثر بينة من أمره فيما يتصل بموضوع ذلك الأثر الخالد منه فيما يتصل بتاريخ البدء فيه ، فأن كراسته تنطوى على نحو مائة موضوع غير الآرثريادة وكثرتها تتصل بالدين ومسائله من عهد آدم وحواء والخروج من الجنة وما إلى ذلك مما يدل بكثرته وتنوعه على حيرة الشاعر بين ما يأخذ وما يدع ... كذلك حار ملتن بين الصور التى يختار واحدة منها لموضوعه ، أيتخذ له الملحمة على نحو ما فعل هوميروس ودانتى ، أم يتخذ له الدراما ؛ أم يترك هذه وتلك إلى سلسلة من الأناشيد مثل أناشيد بندار ،

فلكل من هذه الصور مميزاته ومحاسنه ، ولعل مرد حيرته فى اختيار الصورة إلى أنه لم يحدد الموضوع ، إذ أن الموضوع فى الواقع هو الذى يعين الصورة التى يؤدى فيها .

ومهما يكن من أمر هذه الحيرة فقد قدر على الشاعر أن يدع قيثارته جانبا نحو عشرين سنة لم يكن له فيها أداة إلا النثر اللهم إلا مقطوعات قليلة نفس بها عن صدره فى بعض المناسبات .

***

اجتمع البرلمان الطويل فى نوفمبر سنة ١٦٤٠ ، وقدم إليه مقترح الأصل والفرع ، ذلك المقترح الذى شمر له البيوريتانز ، وأرادوا به القضاء على النظام الأسقفى ، وتصدى لأصحاب هذا المقترح فريق من المؤيدين للنظام الأسقفى ومن المشفقين من التطرف فى الدين والسياسة الذين آثروا الوقوف إلى جانب الملك ودب الخلاف على هذا النحو بين أعضاء البرلمان .

وانتقل الخلاف إلى خارج البرلمان فانقسم الناس فريقين : أنصار البيوريتانز ، وأشياع الملك وكبير الأساقفة .

وظهر الجانب السياسى من تفكير البيوريتانز يومئذ فى وضوح ، وأخذوا يشيعون آراءهم فى الناس ؛ فالناس جميعاً أمام الله سواء ، ولا يكون الخوف إلا من الله وحده ، والعدالة الاجتماعية وإقرار الحق فى كل أمرهما دعامتا المجتمع الأساسيتان إلى غير ذلك من الآراء الحرة التى تناهض الاستبداد والطغيان .

أما فى الدين ، فلم يبرح البيوريتانز يعلنون مقتهم لكنيسة روما وللنظام الأسقفى وازدراءهم لهما ، وما برحوا كذلك ينسبون إلى القساوسة أنهم هم الذين يوحون إلى الملك طغيانه وعلى الأخص كبيرهم وليم لود ، وراحوا يذيعون أن لا حاجة بالناس إلى أخذ الدين عن القساوسة ، فلكل امرئ الحرية أن يتفقه فى دينه مستعيناً بكلام الله ، وإذاً فلم لا يستغنى الناس عن الأساقفة ولم يعد لهم ما سلف من خطر ؟

وتمسك لود وحزبه بوجوب طاعة الملك ، وأعلنوا أن لا غنى للدولة عن النظام الأسقفى ، وأن الكنيسة هى دعامة الملك والمجتمع ، فإذا قضى عليها شاعت الفوضى فى كل شىء . وكان يعمل لود على العودة شيئاً فشيئاً إلى كنيسة روما فى روحها ونظامها ومظاهرها ، وكان يحارب مبدأ كلفن فى القدر المحتوم ، ويعضد المبدأ القائل بالاختيار ، ويضطهد من يدعو إلى الاعتماد على الأنجيل وحده بغير رجوع إلى القس ، وأمعن لود فى الكيد للبيوريتانز ، واستعان بسلطة الدولة فأذاقهم سوء العذاب !

على أن فريقاً من المتدلين وقفوا بين هؤلاء وهؤلاء وإن كانوا قلة . ويرى هؤلاء المتدلون أن المرء حر فيما يفكر فيه ، أو فيما يأتى من عمل ما دام يطيع الملك والقس . وكان ملتن أقرب إلى هؤلاء المتدلين منه إلى متطرفى البيوريتانز ؛ فقد كان يرفض عقيدة القدر المحتوم ويؤمن بحرية الاختيار ، كما كان يحب التسامح ويدعو إليه . وخالف البيوريتانز فى تزمتهم ومبالغتهم فى الزهد والتقشف . وعنده أن المرء إذا وفى واجب الدين حقه ، واستمسك بالفضيلة فلا تحرم عليه زينة الله التى أخرج لعباده . وللناس أن يستمتعوا أيام الآحاد بما يشيع البهجة والمرح فى نفوسهم بدل أن يحشروا حشراً إلى الكنائس ويحملوا على البقاء فيها طويلا ...

ولكن ملتن أنكر بكل ما فى نفسه من حب للحرية على القساوسة تعصبهم واستبدادهم ، وأتى بقيثارته من يده على رغمه وخرج من عزلته ليبدأ ضد القساوسة كفاحا ثائرا عنيفا تجلى فيه كل ما فى طبعه من إنكار ومقت للتعصب ، وكل ما فى روحه من تمرد على الاستبداد وميل إلى نصرة الحرية .

(يتبع) **الخفيف**

التطورات السياسية في الشرق الأقصى

للأستاذ محمد جنيدى

تمخضت الحرب العالمية الثانية فى الشرق الأقصى عن ظهور الجمهورية فى جزائر الهند الشرقية المعروفة فى القاموس السياسى الحديث باسم « indonesla » ولكى يدرك القارىء مدى مدلول استعمال هذه الكلمة — حديثا وقديما — نقدم له تعريفاً أولياً عن الوضع الطبيعى والسياسى للجزائر الأندونيسية ، كما ذكره علماء التاريخ والجغرافيا .

الوضع الطبيعى :

قرر علماء التاريخ والجغرافيا أن الشعوب الأسيوية المنتشرة فى جزر المحيط الهادى والمحيط الهندى ، وفى شواطئهما الطويلة تفرعت من أصل واحد ، هو الأصل الأندونيسى ، الذى وجد فى هذه الجزائر قبل ميلاد المسيح عليه السلام بخمسة آلاف سنة !

وبنوا تقريرهم على الحقائق الثابتة للصفات واللغات والسمات التى تنسجم عليها هذه الشعوب فى حياتها الحاضرة فعرفوا بلدانها بكلمة جامعة تحوى الأصل والفرع ، وتربط أقصاها بأدناها ، هذه الكلمة الجامعة هى « indonesla » وهى كلمتان ركبتا تركيباً مزجياً ، الكلمة الأولى « indos » بمعنى الهند والثانية « Nesos » بمعنى الجزائر فى اللغة اليونانية . وتشمل أندونيسيا الجزر والبلدان الواقعة فى شرق وجنوب آسيا ، وهى :

١ — جزر الفلبين . ٢ — تايلاند (سيام) . ٣ — أنام (الهند الصينية) . ٤ — بورما . ٥ — ملايا . ٦ — جزائر الهند الشرقية — جاوا ، سومطرة ، بورنيو — سيليبس .

وأشهر حاصلاتها الزراعية : الأرز ، قصب السكر ، السمسم البن ، الشاى ، الدخان ، القطن ، البردى ، النارجيل ، الكينا ، المطاط ، الكاكاو ، النيلة ، الأناناس ، الفوفل ، القات ، والفلفل .

وأكثر معادنها المستخرجة : الذهب ، الفضة ، الفحم الحجرى ، النفط ، القصدير ، الألنيوم ، الحديد .

وأشهر حيواناتها : الجاموس ، البقر ، الخيل ، الغنم .

أما جوها فمعتدل : إذ تهب عليها الرياح من المحيطين ، والأمطار تتساقط عليها دواماً ، حتى جعلتها زمردة خضراء فى الشرق الأقصى ! ...

الوضع السياسى :

لما بدأ الاستعمار الغربي للشرق فى القرن السابع عشر ، شرعت حكومات إسبانيا والبرتغال وهولندا وانكلترا فى الفتح الاقتصادى للشرق الأقصى ، فأنشأت شركات تجارية تنقل المحصولات الزراعية الأندونيسية من الشرق إلى الغرب ، عن طريق الشرق الأوسط ورأس الرجاء الصالح . وكانت التوابل الأندونيسية أهم الصادرات من الشرق الأقصى لأوروبا . ولما تمكنت الشركات الأوروبية من السيطرة على الحياة الاقتصادية للشرق الأقصى ، اندفعت حكوماتها إلى ميدان السياسة الاستعمارية وفرضت سيادتها على البلدان الأندونيسية ، بعد قتال ومعارك عنيفة ؛ ففى هذا الظرف كانت فى أندونيسيا حكومة إسلامية مركزها مدينة ديمك « Demak » بجزيرة جاوة ، وحكومات أخرى فى سومطرة وبورنيو وملايا والجزر الأخرى .

فالدولة الأسبانية استعمرت الفيلبين التى تبلغ مساحتها ١١٤٫٠٠٠ ميل مربع ، والدولة الفرنسية استعمرت (أنام) التى تبلغ مساحتها ٢٨١٫٠٠٠ ميل مربع . وانكلترا استعمرت (بورما وملايا) اللتين تبلغ مساحتهما ٢٦٢٫٠٠٠ ميل مربع لبورما ، ٣٦٠٠٠ ميل مربع لملايا . وجاوة وسومطرة وبورنيو استعمرتها هولندا ، وتبلغ مساحتها ٧٣١٫٠٠٠ ميل مربع . أما تايلاند فقد حافظت على استقلالها .

وتطلق كلمة « أندونيسيا » فى العصر الحديث على المستعمرات الهولندية سابقا التى أشهرها الجزائر الآتية :

جاوة ، سومطرة ، بورنيو ، سيليبس ، غينيا الجديدة ، جزائر الملوك ، بالى ، مادورا ، بنكا ، بليتون ، سمباوا ، تيمور ، فلوريس ، وتبلغ مساحتها ٧٣١ ألف ميل مربع ، وعدد سكانها

٧٥ مليون نسمة .

فى هذه الجزائر ظهرت الجمهورية الحديثة ، التى هى أول حكومة جمهورية فى الشرق الأقصى . وستتابع الآن البحث عن التطورات السياسية التى حدثت فى أندونيسيا منذ فجر القرن العشرين حتى عام ١٩٤٥ ، ليقف القارىء العربى على أهم الحركات الاستقلالية التى قام بها الشعب الأندونيسى ، خلال خمسة وأربعين عاما .

لقد تأثر الشعب الأندونيسى بنتائج الحرب اليابانية الروسية فى عام ١٩٠٤ ، وزاد تأثره قوة الدعاية اليابانية الشهيرة ، بدعوة الشرق إلى ضم صفوفه للقضاء على الاستعمار الغربى . فكان انفجار القنبلة الأولى « الشرق للشرقيين » التى حفزت الشعوب الشرقية لمقاومة الاستعمار الغربى يهدر فى المحيط الشرقى فيرتجف الغرب له ، ويزيد فى تقوية مركزه . وفى ٢٠ مايو سنة ١٩٠٨ نهضت أندونيسيا الكبرى « indonesia Raya » نهضة قوية مركزة على أسس علمية حديثة . فقد أنشأ طلبة كلية الطب برئاسة الدكتور وحيدن بمدينة جاكرتا جمية Boedi Oetomo أو النزعة الفاضلة للمقاصد الآتية :

١ — السعى لاستقلال أندونيسيا السياسى .

٢ — العمل لنشر الثقافة العالية .

٣ — العمل لإصلاح الحالة الاقتصادية

وفى شهر أكتوبر عام ١٩٠٨ عقدت الجمعية أول مؤتمراتها . فبلغ عدد أعضائها ١٠،٠٠٠ عضو ، وهذا رقم يدل على قبول الشعب لمقاصد الجمعية .

كان أكثر المنتسبين للجمعية طلبة المدارس والكليات العالية وأبناء الأسر الراقية ، وانتشرت فروعها فى أنحاء أندونيسيا . تسعى لتحقيق مقاصد الجمعية ، وأشهر من قاموا بالدعاية للجمعية الدكتور شومو الذى أصبح فى عام ١٩٣٦ زعيما لحزب أندونيسيا الكبرى « Parindra » وشكرى أمينوتو الذى أصبح فى عام ١٩١٢ زعيما لحزب « الرابطة الاسلامية » . وتعتبر جمية « بودى أوتومو » الحجر الأساسى للأحزاب الوطنية ، والدعامة الأولى فى صرح النهضة الأندونيسية الحديثة .

استطاعت جمية بودى أوتومو إثارة الروح القومية ، وإشعال نار الحماسة فى نفوس الأندونيسيين . فأصبحت أندونيسيا أتونا يتقد ، وفى ١٠ سبتمبر سنة ١٩١٢ ظهر فى المسرح السياسى — الهولندى الأندونيسى — حزب سياسى له سلطته الدينية وقوته القومية ، هو حزب « Sjarekat Islam » برئاسة شكرى أمينوتو لتنفيذ الخطط الآتية :

١ — العمل لتحرير أندونيسيا السياسى التام .

٢ — الدفاع عن الإسلام .

٣ — توسيع نطاق التعليم ، وإصلاح الحالة الزراعية والاقتصادية .

وفى عام ١٩١٦ بلغ عدد أعضائه ثلاثة ملايين عضو . أما فروعه فمنتشرة فى المدن والقرى ، وللحزب أقسام عليا رئيسية هى : التشريع ، والقضاء ، والتنفيذ . وأقسام أخرى للشباب والرجال والمرأة والفتاة ، والتعليم ، والمالية ، والصحافة ، والنشر والرياضة ، والاقتصاد ، ودائرة كبيرة للتحكيم .

وأبرز أعضاء الحزب : مستر أغوس سالم ، وهو وكيل الحزب ، كان قنصلا للمفوضية الهولندية بمكة قبل نشوب الحرب العالمية الأولى ، ثم استقال واشتغل بالسياسة فى حزب الرابطة الإسلامية . وفى عام ١٩٢٣ مثل نقابات العمال الأندونيسيين بجنيف . وفى العهد الحاضر يتولى منصب وكالة وزارة الخارجية للجمهورية الأندونيسية . وفى عام ١٩٢١ انتخب عضوا فى المجلس النيابى « Volksraad » فى دورته الثانية عن حزبه .

وفى ٦ سبتمبر ١٩١٢ أنشأ الدكتور دوزديكر والدكتور شفتو ماعون كسومو والبروفيسور كى هاجر ديوانتارا حزب « insoelanda » أو الحزب الأندولندى ، قابلا أعضاءه من الهولنديين ما داموا ولدوا فى أندونيسيا . والحزب يسعى لاستقلال أندونيسيا . وفى عام ١٩١٣ نفت الحكومة الهولندية زعماء الحزب إلى الجزر الأندونيسية البعيدة عن المجتمعات المتحركة الحية . ثم فى عام ١٩١٤ نفتهم جميعا إلى هولندا مراعاة لمركزهم الاجتماعى لدى الشعب . وبهذا العمل ، قضت السلطة الهولندية على الحزب .

وفى مايو عام ١٩١٤ أسس المستر سنفليت الهولندى الحزب الاشتراكى الديموقراطى مع بعض زملائه الهولنديين ممن تشبعوا

الشـــــيوعية الخُرَّمِية

للأستاذ عباس حسان خضر

الخُرَّمية نسبة إلى خُرَّم بمعنى الفرح ، وأصحابها يحللون كل ما يريدون ويشتهون ، فيسمون مذهبهم مذهب الفرح . وقد أخطر لى الكلام على هؤلاء الخرميين الشيوعيين الذين قاموا بأذربيجان منذ أحد عشر قرناً — تلك الحوادث الجارية فى ذلك الإقليم من شمال إيران المتاخم لروسيا . ولك أن تلاحظ صلاح تلك البيئة لنمو الأفكار الشيوعية ، فقد نشأت بها مذاهبها متجهة من الجنوب إلى الشمال : كانت المزدكية القديمة فى بلاد فارس ، ثم كانت الخرمية (موضوعنا) فى شمال فارس ولعل الفكرة قد تابعت سيرها إلى الشمال حيث استقرت فى روسيا فى عصرنا الحاضر شيوعية مغربلة منخولة ، نقى التنظيم الحديث منها كثيراً من العناصر الفوضوية القديمة ، حتى أصبحت نظاما من نظم الحياة فى هذا العصر ، له مبادئه وفلسفاته ، وله أنصاره ومعارضوه .

قامت الشيوعية الخرمية بتلك الأصقاع فى عهد المأمون ، واستطار شرها وعظم خطبها ، وهب إعصارها على الحضارة الإسلامية فى إبان ازدهارها ، فخشدت لها الدولة العباسية قواتها وظلت تكافحها عشرين سنة ، حتى أخمدت أنفاسها .

كانت الخرميةُ الميلادَ الثانى للشيوعية فى تلك البلاد ، بعد مزدك الذى ظهر فى عهد قباذ ملك الفرس ، فدعا إلى المشاركة فى كل شىء ، بحيث لا يُمنَع أحد مما يشتهى ، كما دعا إلى ترك المنازعات والخصومات والحروب . ومال قباذ إلى هذا المذهب ، فلما ملك بعده ابنه أنوشروان قتل مزدك ، وقضى على الشيوعية الأولى . أما الخرميون فقد زادوا على المزدكية القديمة القتل والغصب والحروب ، وكانوا — إلى تلك الإباحية — يدينون بالتناسخ ، أى حلول الأرواح فى أجساد أخرى غير التى فارقتها ، وقد ادعى زعيمهم بابك الخرَّمى أنه إله ، حلت به روح كبيرهم الأول جاويدان

كان بابك فى حياته الأولى راعياً صغيراً فى قرية بأذربيجان ، وقد زعمت أمه أنها نظرت إليه وهو نائم فرأت تحت كل شعرة من رأسه وصدره دما ، فلما انتبه من نومه اختفى هذا الدم ، فقالت

التى حملها المستر سنفليت من أوروبا . وهى الأفكار الاشتراكية الحديثة ، ولخشية السلطة الهولندية من انتشار الروح الشيوعية فى المجتمع الأندونيسى حلت الحزب الاشتراكى الديموقراطى ، وأرجعت إلى هولندا بعض زعمائه . أما سنفليت فمكث فى أندونيسيا .

ومبادىء الحزب الاشتراكى الديموقراطى ، القضاء على الرأسمالية الدولية ، وإنشاء قوة شعبية اشتراكية ، تمكن لأندونيسيا التحرر من الاستعمار الهولندى الذى يؤيده الأمبريالية المالية .

وفى سبتمبر عام ١٩١٤ أنشأ بعض الزعماء الأندونيسيين حزب « Pasoendan » أشهرهم رادين أوتو اسكندر ديناتا . وكان الحزب يرى إلى إيجاد رابطة شعبية مكونة من كبار الموظفين والتجار والصحفيين والأسر الراقية ، لتقود الشعب إلى ميدان الجهاد لتحرير أندونيسيا من السيطرة الهولندية . وفى عام ١٩١٧ ظهر فى جزيرة سومطرة حزب « Sjarekatsumatra » أو « رابطة سومطرة » قاصداً إلى توحيد الجبهات الشعبية فى جزيرة سومطرة للعمل متحدا فى حقل الميدان السياسى لمقاومة الاستعمار.

ولما نشبت الحرب العالمية الأولى قدمت الأحزاب السياسية الوطنية مذكرة إلى الحكومة الهولندية بإنشاء حكومة أندونيسية وبرلمان ، فوعدت السلطة الهولندية الأحزاب السياسية بإنشاء مجلس نيابى بعد أن تضع الحرب أوزارها . وفى ١٨ مايو ١٩١٨ افتتح المجلس النيابى « Volksraad » جلسته الأولى ، فجاء مخيبا لآمال الوطنيين ، إذ كانوا يرمون إلى إنشاء برلمان وحكومة وطنية . وانتخب أعضاؤه من الأندونيسيين وعددهم ثلاثون عضوا ، ومن الهولنديين وعددهم خمسة وعشرون عضوا ، ومن الشرقيين خمسة أعضاء . ودل هذا الانتخاب على أن هذا المجلس ليس مجلساً نيابيا أندونيسيا ؛ بل هو مجلس هولندى ، فما نسبة ثلاثين عضوا من سبعين مليون نسمة ؟ ! .. إنها نسبة تتضاءل جدا أمام هذه الأرقام الهائلة !

(البقية فى العدد القادم)

محمد جنيدى

إنه سيكون لابنى نبأ جليل ..

اتصل بابك بجاويدان ملك الخرمية ، فقربه إليه ، لما رأى من فطنته وخبثه وشهامته . فلما مات جاويدان استدعت امرأته بابك وقالت له : إنك جلد شهم ، وقد مات ولم أرفع بذلك صوتى إلى أحد من أصحابه ، فتهيأ لغد ...

فلما أصبحت تجمع إليها جيش جاويدان ، فقالوا : لم لم يدعنا ويوصى إلينا ؟

قالت : ما منعه من ذلك إلا أنكم كنتم متفرقين فى منازلكم من القرى ، وأنه إن بعث إليكم وجمعكم انتشر خبره ، فلا يأمن عليكم شرة العرب ، فعهد إلى بما أؤديه إليكم .

قال لى : إنى أريد أن أموت فى هـذه الليلة ، وإن روحى تخرج من بدنى ، وتدخل فى بدن بابك ، وتشترك مع روحه ؛ وإنه سيبلغ بكم أمراً لم يبلغه أحد ، وإنه يملك الأرض ويقتل الجبابرة ، ويرد المزدكية ، ويعز به ذليلكم ، ويرتفع وضيعكم .

فآمن القوم ببابك ، وتزوجته امرأة جاويدان . ومن غريب ما جرى فى الاحتفال بهذا الزواج أنهم أتوا ببقرة ، فقتلوها ، وسلخوها ، وبسطوا جلدها ، وجعلوا فوقه طستاً مملوءاً خمراً ، ووضعوا خبزا حوالى الطست ، فكان كل رجل يأتى يأخذ لقمة ويغمسها فى الخمر ويأكلها ويقول : آمنت بك يا روح بابك ، كما آمنت بروح جاويدان .

أخذ بابك ومن معه يعيثون فى الأرض فسادا ، وينشرون مذهبهم الإباحى . وبلغ المأمون خبره سنة ٢٠١ هـ الموافقة لسنة ٨١٦ م ، فاهتم بأمره ، وعزم على مطاردته ، والقضاء على مذهبه ، وتعاليمه الضارة بنظم الحياة والاجتماع ، والمضادة لتعاليم الإسلام ، والمنذرة لأركان الحضارة الإسلامية بالتصدع والانهيار . فوجه المأمون إلى بابك أربعة من قواده فى أربع حملات متعاقبة ، فلم يستطيعوا التغلب عليه ، لمكانه الحصين ، وقوته الكبيرة ، وشدة تأثيره فى قلوب جهوره . وأدركت المأمون منيته قبل أن يتمكن من القضاء على الخرمية الإباحية ، فكان من وصيته لأخيه المعتصم أن كتب له : « والخرمية فاغزهم ذا حزامة وصرامة ، واكنفه بالأموال والسلاح والجنود من الفرسان والرجالة ، فإن طالت مدتهم فتجرد لهم بمن معك من أنصارك وأوليائك واعمل لذلك عمل مقدم النية فيه ، راجيا ثواب الله عليه » .

وفى أول عهد المعتصم استفحل أمر الخرمية فى أذربيجان ، ودخل فيه خلق كثير من أهل الجبال وهمذان وأصبهان وغيرها ؛ ولكن المعتصم شمر عن ساعد الجد ، وبذل جهده فى الخلاص من هذا الشر ، فاختار لحرب الخرمية قائداً من كبار قواده ، هو المعروف بالأفشين ، وسيره إليهم فى سنة ٢٢٠ هـ على رأس جيش منظم ، فدبر الأفشين أمر القتال ، وأحكم تدبيره ، ووزع قواده على الحصون والمعاقل لحراسة القوافل والسابلة ، وأطلق عيونه وجواسيسه حتى يعرف خطوات الثائر وحركاته . واستمر يحاربه سنتين ، حتى انتصر عليه فى سنة ٢٢٢ هـ الموافقة لسنة ٨٣٧ م .

وفر بابك متنكرا حتى نزل مكانا بأرمينية ، فعرف خبره سهل بن سنباط أحد بطارقة أرمينية ، فذهب إليه ، وسلم عليه بالملك ، وقال له : قم أيها الملك إلى قصرك الذى فيه وليك ؛ حيث تكون فى أمان من عدوك . فسار معه إلى قصره ، ورفع سهل مجلسه وعظمه ، وقدمت المائدة ، وجلس يأكل معه ، فاستشعر بابك جبروته غافلا عما يدبر له فقال لسهل : أمثلك يأكل معى ؟ فقام سهل وقال : أخطأت أيها الملك ، وأنت أحق من احتمل عبده . ودخل حداد كان سهل أرسل فى طلبه ، فقال لبابك : مد رجلك أيها الملك . والتفت إلى الحداد قائلا : أوثقه بالحديد . فقال له بابك : أغدرا يا سهل ؟ قال سهل : يا ابن الخبيثة ، إنما أنت راعى غنم وبقر ، ما أنت والتدبير للملك ونظم السياسات ؟ وسلمه إلى الأفشين ، فأرسله إلى الخليفة بسامرا ، فأمر بقتله وصلبه .

وكان يوم دخول الجيش ببابك مدينة سامرا يوما مشهودا ، خرج فيه الخليفة ، ومعه أشراف الدولة ، فاستقبلوا الأفشين استقبالا باهرا ، وكان فرح المعتصم عظيما ، حتى إنه كان يرسل إلى قائده الباسل فى صبيحة كل يوم حلة شرف ومعها الهدايا الثمينة .

وجلس الأفشين للشعراء ، يستمع إلى أشعارهم فى الثناء عليه إذ أراح الناس من شر ثائر روع البلاد والعباد عشرين عاما ، قتل فيها مائتين وخمسة وخمسين ألف إنسان ، وأسر ثلاثة آلاف وثلثمائة رجل وسبعة آلاف وستمائة امرأة ، وقد ظلوا فى أسره حتى أنقذهم الأفشين .

عباس حسان خضر

الطـــــاقة الذرية

وكيف صارت سلاحا حربيا

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

الفعل الرديومي الصناعي :

بين « جوليو » فى العام التالى . أى عام ١٩٣٣ . إن من الممكن صناعياً تحويل عدد كثير من الذرات إلى ذرات ذات فعل رديومى . أى أصبح فى الإمكان صناعة مواد كثيرة ذات فعل رديومى بأية كمية مطلوبة . وفى عام ١٩٣٤ كشف العالم الإيطالى « فيرمى » وزملاؤه بروما ، أنه عند تصادم أثقل العناصر المعروفة وزناً أى اليورانيوم بالإلكترونات ، أعطى اليورانيوم ذرات معروفة ؛ وذلك طبقاً لإحكام إحلال الفعل الرديومى . وتدل هـذه النتائج على ما يظهر أن من الممكن الحصول فى العمل على ذرات أعلى فى عددها الذرى من الذرات الموجودة فى الطبيعة . وقد دلت الدراسات والتجارب التى أجريت بعد ذلك على أن عدد العناصر « عبر — اليورانيوم » (trans — uranium) المتكونة كثير شاذ ، على أن البحوث الكيميائية الدقيقة التى أجريت فى نفس الوقت للتعرف عن نوع الذرة الناشئة بذرات تلك العناصر التالية لليورانيوم مباشرة فى العدد الذرى أو الوزن قد فشلت .

انقسام اليورانيوم انقساماً ذاتياً :

وفى يناير من عام ١٩٣٩ كشف العلم أيضاً عن نتيجة فى غاية الخطورة . فقد أيد « أوتو كاهن » وزميله « ستراسمان » ببرلين الحقيقة الثابتة التى نصت على أن ذرات اليورانيوم يمكن شطرها مع إطلاق كمية هائلة من الطاقة . وقد توصلا بجانب هذا إلى كشف آخر فى غاية الأهمية ، وهو الذى نص على أن أحد مركبات « عبر اليورانيوم » . هو عبارة عن نظير (isotope) العنصر « باريوم » الذى فى عدده الذرى وكتلته لا يختلف اختلافاً تاماً عن نصف العدد الذرى وكتلة اليورانيوم . وقد كان أن فطن العلماء عقب هذا مباشرة أنه ينشأ عند استحالة اليورانيوم تفاعل نووى يختلف اختلافا تاماً عن أى تفاعل درس حتى هذا الوقت ، بمعنى أن ذرة اليورانيوم وهى ذرة كبيرة جداً ، لا بد وأن نفرض بأنها قد انقسمت إلى قطعتين ، وأن هاتين القطعتين تحتويان على ذرتين عاديتين وزنهما متوسط . ولما أضيف وزن هاتين الذرتين كل منهما إلى الآخر وجد أن الوزن الكلى أقل بمقدار محسوس عن وزن ذرة اليورانيوم ، وأن النقص فى الوزن قد ظهر فى شكل طاقة منبعثة ، وأن هذا التأثير أقوى عشرين مرة من أى تأثير من نوعه كشف عنه العلم من قبل . وفى الحال بدأ الباحثون فى الكثير من بلدان العالم فى إجراء بحوث دقيقة شاملة لمعرفة ماهية انقسام ذرة اليورانيوم انقساماً ذاتياً .

وفى بحر شهور قليلة توصل « جوليو » وزملاؤه بباريس إلى الكشف عن أدلة بينوا بها أن ذرة اليورانيوم عند انقسامها إلى ذرتين ينطلق منها فى الوقت نفسه عدة نيوترونات — من المؤكد أكثر من اثنين — أى أصبح من الممكن إذن الوصول إلى سلسلة من التفاعلات مبنية فى شكل متوالية هندسية . فلنفرض أن فى متناولك كتلة من اليورانيوم أطلق فيها نيوترون واحد . النتيجة أنه يصحب استحالة ذرة واحدة من اليورانيوم انطلاق ٢ نيوترون على الأقل؛ وأن ال ٢ نيوترون يسببان استحالة ذرتين أخريين من ذرات اليورانيوم ، وينتج من هذا انطلاق ٤ نيوترون على الأقل . وتستمر العملية على هذا المنوال حتى تحدث استحالة عامة فى الكتلة . وقد كان من الواضح الجلى أنه من الممكن باستخدام عملية كهذه الوصول إلى منبع هائل من الطاقة .

وفى ربيع عام ١٩٣٩ وقت أن كان الأستاذ « نيل بور » يزور أمريكا ، وضع مع الأستاذ « هويلر » بجامعة برنستاون بمقاطعة نيوجرسى نظرية فى عملية الإنقسام الذاتى . وعلى أساس هذه النظرية تكهن العلماء أن من بين نظائر اليورانيوم الثلاثة المعروفة ب « نم ٢٣٨ ، نم ٢٣٥ ، نم ٢٣٤ » (« نم » هو الرمز الكيميائى لليورانيوم باللغة العربية) إن من المتوقع أن النظير الشائع (نم ٢٣٨) ينقسم انقساماً ذاتياً فى حالة ما إذا كانت النيوترونات المنطلقة ذات طاقة عالية فقط . وأن (نم ٢٣٥) النادر الوجود لا ينقسم انقساماً ذاتياً إلا إذا كانت طاقة النيوترونات ، أو بعبارة أخرى سرعة النيوترونات ، المنطلقة بطيئة جداً . وقد تأيدت تلك التكهنات فى مارس من عام ١٩٤٠ . بتجارب اجراها « نير » (بجامعة مينيسوتا) ، بود ، دانينج :

جروس بجامعة « كولومبيا بنيويورك » وقد نصت تجاربهم على استخدام عينة من اليورانيوم زيدت فيها كمية (نم ٢٣٥) عن الكمية العادية بواسطة « الأسبكتروغراف الكتلي » الذي اخترعه « نير » .

وعند تصادم اليورانيوم بنيوترونات ذات طاقة معينة معتدلة، تكون نظير له عدد ذري يساوي ٩٤ . وقد تكهن العلم أيضاً على أساس نظرية « بور — وهويلر » أن هذا النظير — الذي أطلق عليه اسم « بلوتونيوم » وعبر عنه بالرمز الكيميائي (Pu^{239}) يمكن انقسامه انقساماً ذاتياً بنفس السهولة التي ينقسم بها « نم ٢٣٥ » .

تطور الطاقة الذرية :

كان الكشف عن انقسام اليورانيوم انقساماً ذاتياً بمثابة قوة دافعة حركت أذهان كل المهتمين بالبحث في هذا الفرع من العلم. فبدأ في الحال الأستاذ « جوليو » وزملاؤه بباريس والأستاذ « فيرمي » وبعض علماء الطبيعة الذرية الآخرين في الولايات المتحدة الأمريكية ، والسير جورج تومسون وزملاؤه في لندن ، في إجراء التجارب بقصد الوصول إلى طاقة ذرية منبعثة يمكن ضبطها .

وقد دلت التجارب التي توصل إليها العلماء في لندن ، والتي أيدها زملاء الأستاذ جوليو بعد وصولهم إلى انجلترا بتجارب كانوا قد أجروها مستقلين قبل هذا بباريس ، على أن الأمل كبير في استخدام الطاقة الذرية كمنبع للقوة . ولما كانت النتائج في هذا الوقت ليس لها أهمية حربية منتظرة أبطلت البحوث في هذا الموضوع في لندن .

وفي الشطر الأول من عام ١٩٤٠ اقترح على الحكومة كل من الأستاذ شادويك والدكتور « فريش » والأستاذ « بيرلس » كل على حدة أنه من الممكن الحصول على فرقعة هائلة على جانب كبير من الخطورة إذا استبدل النظير النادر « نم ٢٣٥ » باليورانيوم العادي . وعليه ألفت الحكومة لجنة من العلماء المختصين تحت رئاسة السير جورج تومسون ، وبدأت عملها أولا في جمع كل المعلومات العلمية التي ظهرت في هذا الموضوع وقد تطور البحث الذي كان قد بدأ في ليفربول تحت إشراف السير جيمس شادويك بتعيين الدكاترة فريش وروتبلات مساعدين له .

ولما أخذت البحوث تترى ظهرت هناك مسائل أخرى لها علاقة بهذا الموضوع . وعليه ساهم معمل « كافنديش » المشهور بكمبردج بنصيبه في هذا البحث الخطير تحت إشراف الدكاترة « فيذر ، برتشر » وقد أجريت التجارب في فصل « نم ٢٣٥ » في معمل كلارندون تحت أشراف الدكتور « سيمون » بمعاونة في البحث من الناحية الكيميائية الأستاذ « هوارث » . وقد أجريت البحوث أيضاً في الكلية الامبراطورية للعلوم والفنون بلندن . وقد أجرى البحوث من الناحية النظرية الأستاذ « بيرلس » بمعاونة الدكتور « فوش » وغيرهما من العلماء .

وذلك بجمع المعلومات التجريبية من مختلف المعامل . وقد وضعت اللجنة في ١٥ يولية سنة ١٩٤١ تقريراً أثبتت فيه إمكان تحضير سلاح حربي له قوة تخريبية لا مثيل لها ، أي استخدام الطاقة الذرية كسلاح حربي :

وقد تطور البحث في هذا الموضوع في نفس الوقت في الولايات المتحدة الأمريكية . ولما اقترح المرحوم الرئيس روزفلت في عام ١٩٤١ تبادل المعلومات والنتائج بين الباحثين البريطانيين والباحثين الأمريكيين وافق المستر تشرشل على هذا الاقتراح . وعليه قدم فريق من العلماء الأمريكيين إلى انجلترا لمعرفة مقدار تطور البحث في بريطانيا . وفي فبراير من عام ١٩٤٢ رحل فريق من العلماء البريطانيين إلى أمريكا . واستمر العمل بعد ذلك في انجلترا وأمريكا في جو يشوبه التعاون التام بين البلدين . أما في انجلترا فقد زيد في عدد العلماء الباحثين؛ وانضمت جامعتا برستول ومانشستر ، ووضع لكل منهما برنامج بمسائل للبحث فيها . ولما اشتدت الغارات الجوية على بريطانيا أصبح من الضروري نقل الكثير من المجهود البريطاني إلى أمريكا . وفي أواخر عام ١٩٤٣ رحل العدد الكبير من الفريق البريطاني إلى أمريكا للعمل مع زملائهم هناك . وقد كان من تأثير هذا النقل أن وقع معظم الحمل على عاتق الولايات المتحدة الأمريكية . وقد تم استخراج المواد

الخام اللازمة من كندا . واشتغل العلماء الأمريكيون والكنديون والبريطانيون جنباً إلى جنب فى جو يشوبه التعاون التام والإخلاص لغرض واحد . والعالم أجمع يعرف الآن نتيجة تلك الجهود الموفقة وهو فوز لا نظير له فى التاريخ . فوز فى تطبيق المعلومات الجديدة لتركيب الذرات ونواتها . وقد اشترك علماء الكثير من الدول فى الوصول إلى هذه النتيجة الباهرة التى لا مثيل لها فى تاريخ العلوم . ولكن الفخر كل الفخر يرجع بلا شك لرذرفورد الذى عاجلته المنية منذ بضع سنوات قبل تطبيق هذا الفرع الجديد من العلم تطبيقاً ناجحاً ، والذى ساهم فيه رذرفورد بنصيب وافر .

المستقبل :

قد رأينا كيف استخدمت الطاقة الذرية كسلاح حربى فى غاية الخطورة. بيد أنه من الممكن استخدامها فى الوقت نفسه فى الكثير من النواحى لسعادة المجتمع بنجاح تام وفائدة لا مثيل لها . فمن الممكن مثلا استخدام المفرقعات الذرية لتحويل الأصقاع . ومن الممكن أيضاً استخدامها للحصول على حفرة هائلة فى الحجم وخنادق فى الأرض وتحويلها إلى بحيرات وأقنية أو مصارف . وبهذا يصبح فى الإمكان إنشاء بحيرات فى وسط الصحراوات . أى يمكن تحويل أردأ بقاع الأرض إلى واحات وأراض خصبة . ومن الجائز أيضاً توليد كميات هائلة دائمة من الحرارة فى المناطق القطبية الثلجية وبهذا يمكن تحويل القطب الشمالى مثلا إلى منطقة للراحة والاستجمام .

ومن المنتظر فى القريب العاجل تطبيق منبع الطاقة الجديدة لتحريك السفن والقاطرات . أو على الأقل يمكن استخدام الطاقة الذرية للوصول إلى قوة بدون الدخان والقذر المألوف .

وستنتج معامل الطاقة الذرية كميات هائلة من مستخرجات المواد الرديومية يمكن توزيعها على الجامعات لإجراء بحوث أخرى شاملة ، وعلى المستشفيات للبحث واستخدامها فى الأغراض الطبية العديدة . وقد أمكن الآن إنتاج عناصر جديدة بكميات محسوسة . فإذ ما تصادمت النيوترونات بسرعة محدودة مع نظير اليورانيوم الأكثر ثقلا ، كتلته ٢٣٨ وحدة ، وقعت سلسلة من التحويلات ، يتغير فيها اليورانيوم أولا إلى « نبتيونيوم » ثم إلى « بلوتينيوم » ولكل من هذين المنصرين اللذين ليس لهما وجود فى الطبيعة خواصه الكيميائية الفريدة . فالنبتيونيوم ذو فعل رديوى يتحول نصف وزنه إلى بلوتنيوم فى فترة أكثر من يومين بقليل . ولما كان البلوتينيوم يتبع نظرية الانقسام الذاتى أصبح من الممكن استخدامه فى انبعاث الطاقة الذرية .

فالعلم إذن قد كشف عن عناصر جديدة من المادة فى الوقت الذى كشف العلماء فيه عن قوة فتاكة . فما ذا عسى أن يكون مأربه الجديد ؟ هل البحث عن تطورات جديدة فى الحياة ؟

عن النشرة العلمية الإنجليزية

هتـــاف ...!

للاستاذ أحمد عبد المجيد الغزالي

هاتف ، عله الذي أتمنى — من وراء الغيوب ، روحاً وفنا
عشقت روحه الزكية روحي — فمتى نلتقي العيون ؟ وأينا ؟
هو في خاطري رؤًى ؛ وبقلبي — حـــلمٌ راعه زماناً لجنا
هو ظلٌّ نديته بدموعي — وتفيأته ســـلاماً وأمنا
هو نورٌ هدى يقيني ، ونارٌ — صليتها شكوكُ قلبي المعنّى
هو في الزهر والفراش تراءى — لخيالي ، وفي الشعاع استكنّا

***

عله الهاتفُ المسرُّ لي الشو — قَ ملحاً ، فكنتُ كلي أذنا
أسمع الصوت في «المسرة» حلواً — عبقرياً ، يهتزُّ ناياً ولحنا
يرقص الكونُ كله من حواليّ — فأغنى في الكون طيراً وغصنا
شارداً في عوالم الوهم ، هل آ — ن لهذا الطريد أن يطمئنا ؟

***

إيه يا هاتف «المسرة» أشرق — إن لي مقلة بليلك وسنى
آن أن يشرق الصباح عليها — لترى الكون بين عينيك كونا

رباعيـــاتُ عثمان

للاستاذ عثمان حلمي

يا أخي إن قرأت هذا الكتابا — بعد أن صرت في التراب ترابا
لا ترع وابتسم فسخرك بالد — يا صواب إذا ضللت الصوابا
وتذكر أني حكيتك في الأر — ض غروراً وبهجة وعذابا
صورة منك كان قلبي وقبلي — من حكاني كهلا بها وشبابا

***

لا جديد بالليل أو بالنهار — وقديم ما جدَّ في الأخبار
فوليد في مهـــده وفقيد — صرعته مخالب الأقدار
والليالي هي الليالي كما كا — نت قديما سلالة التكرار
قمرٌ جدَّ في السير وشمسٌ — لاحقتها النجوم في التسيار

***

فالعجيبُ المجيبُ غيرُ عجيبِ — ومريبُ الأمورِ غيرُ مريب
والذي أنت فيه صورة ما فا — تَ ولون القديم لونُ القشيب
فابتسمْ ما استطعتَ واسخر إذا اسطعـ
ت بما جدَّ من جديد الخطوب
إنَّ جدَّ الحياة أخلق بالسخـ — ر وأجدى لا بالأسى والنحيب

***

كلُّ ما أنتَ مبصرٌ لك يُغري — لو تأملت بابتسامة سخر
ليت شعري أيُّ النفوس وإن جـ — لَّ خلا من ضعف به ليت شعري
وزوايا النفوس فيها كثير — من خفايا غرورها المستقرّ
فابتسم يا أخي إذا جدَّ أمرٌ — ساخراً إن فطنتَ من كل أمر

***

ضـــائع ما أفاده كلُّ حيٍّ — من جميل محبب ورديّ
ما أفاد الذكيُّ في الكدح إلاّ — ما أفادت في الكدح نفس الغبيّ
تعبٌ غيرُ مثمر فوق ثرى الأر — ض تساوى سعيدُها بالشقيّ
وعناءٌ لا ينقضي يتساوى — جاحدٌ في عنائه بالتقيّ

***

أيُّ جهدٍ جازاهُ أيُّ رجاءٍ — فوق هذا الثرى وتحت السماء
إن تساوت مصائر الناس يوما — بمصير البهيمة الخرساء
من تراب إلى تراب ومن محـ — ض فناء حق لمحض فناء
يتلاقى الجهول فيه وذو الحكـ — مة والأقـــوياء بالضعفاء

***

فعلامَ الأسى على غير مجدٍ — بين ماضٍ ومقبلٍ مستجدّ
واقعٌ ما أعدَّ في الغيب لا تسـ — طيع نفسٌ تبديل حتم المعدّ
ومحالٌ عليكَ ردُّ الذي فا — تَ محالٌ إرجاء ساعةِ فقد
عاجزٌ أنتَ يا أخي عجزَ أهل الأ — رض عن ردِّ فائتٍ مسترد

***

كلُّ غادٍ أو رائحٍ غيرُ غادٍ — يتولى بغصةٍ في الفؤاد
والذي لم يرَ الحياة وإن كا — ن جماداً أسعدٌ به من جماد
ساعة الموت لو تأملت في السا — عات خيرٌ من ساعة الميلاد

منتهى هذه الحياة فسادٌ   مبتد فى نشوئه من فساد

* * *

هـذه سنة الحياة ولولا   جهلنا لم نقم على الأرض نسلا
راحة جهلنا الحقيقة بالخلـ   ـق فزدنا بالحق والخلق جهلا
فن الجهل راحة ورضاء   ورضاء النفوس بالعجز أولى
إنّ عقل الإنسان لم يك يوماً   بخفايا الوجود للفهم أهلا

* * *

إن عجزى عن فهم أسرار روحى   ثم بخلى بالنفس بخل الشحيح
من مُلحّ من الغرائز فيها   تتجلى قناعتى وطموحى
فى حياة منها الصحيح تساوى   فى احتكام النهى بغير الصحيح
لم يدع لى من مطلب فى وجودى   غير سعيى وراء كل مريح

* * *

ولقد جزتُ من حياتى عُمرا   ذقت فيه الحياة خيراً وشرا
وبلوت الأمور فى هذه الأيـ   ـام فيما عرفتُ طياً ونشرا
كلما زدت بالمقادير خبرا   زادت النفسُ بالمقادير سُخرا
وانتهى بى المطاف أنى رأيت الـ   ـيأس فى الناس راحة لى كبرى

* * *

بين يأسى أحيا وبين رجائى   لا أبالى بشقوة أو هناء
لا أبالى أسارَ زيدٌ أمامى   دون حقّ أو سار زيد ورائى
علمتنى الأشياء كيف أرى الشىء   بعين لم تُعنَ بالأشياء
وسواء لو تغرب الشمسُ فى الشـ   ـرق أو لا تنير جوف السماء

* * *

لا أبالى إن مر ركب الوزير   بى بين التهليل والتكبير
أوهوى صاعق على الأرض لا يخـ   ـشى فؤادى ماذا يكون مصيرى
وضميرى أرحته وكفانى   أننى لم يثر علىّ ضميرى
لى وحدى تقدير من هو أولى   باهتمامى فى الخلق أو تقديرى

* * *

كل كسبى من التجارب أنى   عشت فى الأرض عيشة المطمئن
وكفانى من كل ما أتمنى   أننى لا أطيلُ فيه التمنى
إن تجنّى علىّ من يتجنى   دون حق بسمتُ للمتجنى
وكفانى أن نلت منه بسخرى   ضعفَ ما نال بالحماقة منّى

* * *

أنا فى موكب الحياة أسير   فى زحام على الرغام يمورُ
موكبٌ دائبُ المسير فما يعـ   ـروه كلٌّ أو يعتريه فتور
صاخبٌ فى غروره لم يفارقـ   ـه طوال الزمان هذا الغرور
لا يبالى بمن تخلف أو يعـ   ـنى بمن كلّ أو دهاه قصور

* * *

ولقد حار فى وجودى فكرى   وتبرمتُ فاستعنتُ بصبرى
وأخذت الحياة باليسر حتى   لم يضق بالحياة والناس صدرى
لا أرى أن أكون غِراً ولا أر   ضى لنفسى فى الناس تفكير غرّ
كيفما كانت الأمورُ فإنى   لم تفارقنى ابتسامة سخرى

* * *

فوجودى ما لى يد فى وجودى   لا ولا فى النحوس أو فى السعود
غفر الله للجدود فما أر   غب فى أن أعيد حمق الجدود
لا أرى الأرض بعد ما ملأ النا   س فضاءها تواقة لمزيد
خلنى خلنى فنفسىَ أولى   باهتمامى من كل وجه جديد

* * *

ما كفى ما أحاطنى من قيود   فأزيد القيود فى التعقيد
علم الله ما تخبئه الغيـ   ـب لنفس السعيد والمجدود
هكذا تسخرُ الطبيعة بالخلـ   ـق وتغرى نفوسهم بالخلود
ويصيب العمى القلوب فما تبـ   ـصر ما فى الثرى وما فى اللحود

* * *

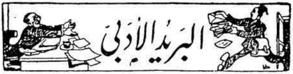
جاء من جاء فى الوجود ومرّا   كخيال على الثرى ما استقرا
ضاقت الأرض بالجميع فألفوا   جوفها للجميع أوسع صدرا
أكلتهم من بعد ما أكلوها
فاسأل الأرض فهى بالناس أدرى
ما لها أنبتت من الرمّ أثمـ   ـاراً طعاماً للآكلين وبذرا

* * *

ربّ تفاحة كخد صقيل   نبتت من صميم خدّ صقيل
مضغتها الأضراس ثم طواها   فى ظلام الأحشاء جوفُ ثقيل
والليالى بالهمس تضحك من كـ   ـلّ قبيح وكلّ زاهٍ جميل
كالرحى ما تنى عن الطحن أو تسـ   ـكن فى سمعها سكون ملول

(الاسكندرية)   عثمان حلمى

***



توفيق الحكيم وقواعد الفن :

لا يزال فى كتابنا الناشئين من يكتب بالسليقة فلا يكلف نفسه عناء الرجوع إلى معاجم اللغة ، أو النظر فى قواعد الاعراب ، أو البحث فى أصول الكتابة . وقد ساعدهم على الإخلاد إلى هذا الكسل الأدبى إغضاء النقد وغفلة القراء . وعاقبة هذا الكسل وخيمة على الفن فى ذاته ، وعلى الفنان فى مستقبله .

ومن أقرب الأمثلة على الخروج عن قواعد الفن الأولية أن صديقنا الأستاذ توفيق الحكيم قد سمح لجاره أن يتدخل فى فنه ، فنشر فى عدد السبت الماضى من (أخبار اليوم) أقصوصة جمل عنوانها (وكانت الدنيا) ، ومن حول هذا العنوان كتب بخط ظاهر : قصة العدد خيالية . ثم بدأها بقوله : « لماذا تمرد إبليس ؟ قصة ذلك مدونة جاءت بها الكتب السماوية ولا سبيل إلى الشك فيما روت ؛ ولكن خيال الراوى يجنح أحيانا إلى اختلاق صور أخرى للحادث الواحد ، ولا بأس من عرض إحدى هذه الصور على سبيل التفكهة لا الاعتقاد » . ثم نقل عن (أبى الفداء) كلاما فى إبليس ، ثم قال بعد ذلك : « وتبدأ قصتنا هذه المخترعة بعد أن تم خلق آدم ... الخ » .

فهل يجوز للقصصى أو الروائى أن يفضح سر فنه للناس فيقول لهم أول مايقول : إن هذا الحادث الذى ستقرأونه أو ستسمعونه أو ستشاهدونه اختلاق محض وكذب صريح ؟ وهل يسمح لنفسه كاذب أو فياش من عامة الناس أن يبدأ حديثه الذى احتشد له وافتن فيه بأنه تلفيق أو إغراب أو مبالغة ؟ إن المحدث متى اعترف بكذب حديثه أول الأمر جرده من اللذة والفائدة فلا يهتم له السامع أو القارئ مهما كان موضوعه طليا وعرضه فنيا ؛ ولذلك شرطوا فى القصة أو الرواية الصدق أو قابلية الصدق (La Vraisemblance) وأوجبوا على القصاص أو الروائى أن يستعين على تمثيل الحقيقة بالخداع الشعرى أو المسرحى L' illusion poétique ou théâtrale محافظة على التأثير والتشويق ، وحرصا على التوفيق بين الفن والحقيقة . ويظهر أن الذى دفع الأستاذ الحكيم إلى هذه المخالفة الفنية ، مخالفة الأقصوصة للنصوص الدينية ، ولكنه كان حقيقاً بأن يحتال بفنه على أن يمكن القارئ من فهم ذلك بنفسه ، أو بأن يختار من الموضوعات ما يستطيع التوفيق فيه بين فنه واعتقاده .

هيج أوهاج لا أهاج :

جاء فى (رسالة لم تنشر للجاحظ[1]) الجزء الأخير فى مجلة (الكاتب المصرى) الغراء :

« وأهاج التبلد » .

واليقين كل اليقين أن هذا من تحريف الناسخين ، فبعيد بل محال أن يقول أبو عثمان (أهاج) وإنما يقول (هيج أوهاج) « وهاجه غيره يتعدى ويلزم » .

السهمى

جامعة هارفرد تهتم بالشرق العربى :

تبدى حكومة الولايات المتحدة اهتماما شديدا بالشرق الأدنى والأوسط كما يستدل عليه من خطاب الرئيس ترومان الأخير فى شيكاغو فى احتفال « يوم الجيش » . وقد رددت صدى هذا الاهتمام الصحف والمجلات والراديو والأندية السياسية وغيرها من المعاهد التى تهتم بشؤون الشرق .

ومن أدلة هذا الاهتمام أن جامعة هارفرد — كبرى جامعات أمريكا - عقدت مؤتمرا للبحث فى شؤون الشرق الأدنى والأوسط برعاية دائرة الدروس الحكومية لتلك الجامعة ، وذلك فى اليومين الثالث عشر والرابع عشر من شهر نيسان — ابريل — وقد كان بين المشتركين فى البحث بهذا المؤتمر الأستاذ جيمس لاندس — عميد مدرسة الشريعة فى جامعة هارفرد والمستشار الاقتصادى لحكومة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط أثناء الحرب الأخيرة — والأستاذ كارل فريد ريخ أحد أساتذة الجامعة المذكورة — والأستاذ وليم رابارد — أحد أساتذة جامعة جنيفا ورئيس لجنة الوصايات سابقا فى جمعية الأمم المنحلة .

(١) نشرها الأستاذ طه الحاجرى .

وقد طلب القائمون بالمؤتمر من معهد الشؤون العربية الأمريكية إرسال ممثل عنه للاشتراك فى أبحاث المؤتمر ، فلبى المعهد الطلب وندب عنه الدكتور خليل طوطح الذى اشترك فى جميع أبحاث المؤتمر وخطب مظهراً أهمية معرفة الشرق العربى عن كثب، وبالاختبار لا بالمطالعة ، ومن الوثائق الرسمية فقط . ولفت الأستاذ طوطح أنظار الحاضرين إلى أهمية البحث العربى الأدبى والسياسى والاجتماعى الذى يشمل جميع أقطار الشرق العربى ، ولا يزال من أهم عوامل تقدمه فى جميع مرافق الحياة ومظاهرها .

وأشار بوجه خاص إلى التقدم فى طبقات الشعب المتوسطة وبين الفلاحين والعمال . فقال إن كلمة « أفندى » لا تعنى طبقة خاصة من الناس تمتاز بشىء عن غيرها ، واستشهد على ذلك بنفسه ، وبالعصامى المعروف السيد عبد الحميد شومان . فقال أنا أدعى أفندى مع أننى ابن فلاح وكذلك السيد شومان الذى هاجر إلى الولايات المتحدة وأحرز ثروة لا بأس بها فى شارع واشنطون — نيويورك — قبل أن عاد إلى فلسطين وأسس مصرفاً عربياً فى القدس له فروع مختلفة فى مدن فلسطينية عديدة ، وفى غير فلسطين من الأقطار العربية المجاورة .

يوم ولا كالأيام !

هكذا كان عنوان إحدى المقالات الرائعة فى الرسالة . وفى تركيب هذا العنوان ما يؤدى لغة إلى عكس ما قصد إليه الأستاذ الكاتب ؛ إذ أن المعنى الحقيقى لهذا التركيب : إنه يوم لم يبلغ أن يكون فى أوصافه شبيها بالأيام ، والأستاذ إنما يريد أنه يوم لم تبلغ الأيام أن تكون فى أوصافه مثله . وقد شاع هذا النوع من الخطأ فى كلام كثير من الكتاب فيقولون مثلا : شاب ولا كالشباب ، فيضعون منه من حيث لم يريدوا إلا اطراءه . وأما الأمثال المشهورة : مرعى ولا كالسعدان ، فتى ولا كمالك ، ماء ولا كصداء ، فهى تضرب للشىء الذى فيه فضل وغيره أفضل منه كما يقول أبو الحسن الأخفش فى تعليقه على الكامل للمبرد .

عبد الغنى الدقر

مدرس الأدب العربى فى معهد العلوم الشرعية فى دمشق

كتاب أنساب الخيل :

قد أتمت دار الكتب المصرية طبع كتاب انساب الخيل لابن الكلبى ، وهو معروض للبيع يوميا وثمن النسخة للجمهور ٢٥٠ مليما، ولباعة الكتب ٢٠٠ مليم، ولمن يشترى عشر نسخ فأكثر

خطأ أم عمد ؟

رويت فى مقالتى فى العدد (٦٧٤) من الرسالة ، أبيات : أعانقها والنفس بعد مشوقة الخ ... ونسبتها لابن الرومى، فلما جاءت المقالة منشورة وجدت اسم العباس ابن الأحنف مكان اسم ابن الرومى ، فإذا كان خطأ فأرجو تصحيحه وإن كان عمداً فأرجو بيان دليله .

(دمشق) **على الطنطاوى**

(الرسالة) : الأبيات لابن الرومى والتغيير قد حدث خطأ .

فى الكتب

عبد الله فكرى :

[تأليف الأستاذ محمد عبد الغنى حسن]

هذه ولا ريب نهضة مباركة أن يقوم شبابنا المثقف بتعريف الجيل الحديث بأعلام القرن الماضى ، حتى تتم حلقات التاريخ ، ويعتمد الحاضر على دعائم وثيقة من الزمن . وحياة الأمم تقاس برجالها وتاريخها وماضيها .

وليس الأستاذ محمد عبد الغنى حسن غريباً عن قراء العربية ، فهم يعرفونه أديباً شاعراً كاتباً . وقد أحسن الكتابة عن عبد الله باشا فكرى ، لأنه كان أديباً وكاتباً وشاعراً كذلك . فهذه المماثلة بين صاحب الترجمة وبين المؤلف هى فى نظرنا السر فى ظهور هذا الكتاب فى هذه القوة وهذا الإشراق .

بيّن المؤلف نشأته ومولده ، وتعليمه فى الكتاب ، ودراسته فى الأزهر ، وصور حياة الأزهر فى ذلك الوقت أحسن تصوير ، ولقد كانت حياة العلم فى الأزهر فى القرن الماضى أفضل منها فى العصر الحاضر بعد أن تقيد الطلبة بالمناهج ، وتقيد الأساتذة بطائفة من الحصص . لقد كانت الحرية الواسعة التى يلقاها الأساتذة والطلاب فى الأزهر القديم سر نجاحه ومصدر بروز بعض المتخرجين فيه. لقد كانوا يطلبون العلم للعلم وهو أفضل الغايات.

تقلب عبدالله فكرى فى وظائف الحكومة حتى بلغ نظارة المعارف وهو مثال الموظف الأمين على وظيفته ، الناظر فى مصلحة الشعب ، المخلص لعمله ، فليتدبر من يقرأ هذا الكتاب من الموظفين فى الحكومة ما ذا تكون نتيجة الإخلاص للوطن

ولم تمنعه الوظيفة الحكومية على ما فيها من أعباء ثقال ، وعلى الأخص فى ذلك العهد المصيب من الناحية السياسية ، الذى

ظهرت فيه حركة عرابى وانتهت بالاحتلال ، لم تمنعه هذه الأمور كلها من التأليف وقرض الشعر .

وبعد ، فهذه دراسة جدية بذل فيها المؤلف جهداً واضحاً ، ورجع إلى نحو ثلاثين مرجعاً أثبتها فى صدر الكتاب مما يدل على التحقيق وسعة الاطلاع .

ونرجو أن يستمر الأستاذ عبد الغنى حسن على هذا النمط ، فيترجم لنا عن بعض الشخصيات الأخرى من أعلام الجيل الماضى ، ليكون ذلك نبراساً يهتدى به شبان هذا الجيل .

أحمد فؤاد الأهوانى

ليلة النهر :

[للاستاذ على أحمد باكثير]

لا عجب ومصر بلاد يجرى فيها نهر النيل ، فيهب الحياة لقطانها وحيوانها وزرعها ، أن يتغنى المرء بفضل ذلك النهل الخصيب على كل مرفق من مرافق الحياة . ولكن الأستاذ على أحمد باكثير — وهو الأديب المطبوع — يرى أن لهذا النهر وحياً آخر أسمى من الماديات ، فهو بالحب يوحى ، وناره يزكى ، ويلهم للشاعر أغاريده فتصدح بها نفسه دون وعى .

« ليلة النهر » قصة حب رعته الطفولة البريئة الباكرة ، ونماه الشباب الطموح الوثاب ، وألهبت أدواره ليلة أمضاها العاشق مع معشوقته فى زورق حمله النيل الرؤوم كما تحمل الأم رضيعها ، فتفجرت من العاشق عاطفته فإذا بها شعر وجدانى رقيق يصاحبه نغم موسيقى رائع ، وإذا بالأيام تقبل على الشاب فيصبح من أعلام الشعراء والموسيقيين والمطربين وهنا تنهض التقاليد فى وجهه ، فلا يستطيع الظفر بمحبوبته والزواج منها لأن خالها القيم على شؤونها ، رأى أن يعقد عليها لشاب متعطل مفتون ليس له من مؤهلات سوى أنه نجل أحد الأثرياء من حملة الألقاب .

وتزداد الدنيا على الفنان إقبالا ، فيصيب من المال والنجاح والشهرة ما لم يسبقه إليه مفتن سواه ، لأنه ينظم الشعر جيداً ، ويكسوه رداء غير فضفاض من الموسيقى ذات النغم الخالد ، ثم ينشده بصوت يشيع الطرب فى النفوس ، ويدفع السأم عن القلوب ، ولا يسع المرء إزاءه إلا أن يستزيده ويقبل على الإصغاء إليه .

وتمعن الدنيا فى التنكر لذلك الشاب العاطل زوج الفتاة ، فتكبل بالحديد يداه ، ويزج به بين غياهب السجون لإثم اقترفه ويخلف وراءه زوجة وطفلا يعانيان من نكد الدنيا أمره .

ولكن الأيام بالأحداث حبالى ، فإن الشاعر الموسيقار ، وإن سخت عليه المقادير بالمال والجاه ، لم تسخ عليه بغذاء قلبه ؛ وإن واتته الشهرة والمجد ، لم تواته عاطفة الحب بأكلها ، فأمسى ظامئاً يتلهف على رى نفسه فلا يستطيع ، وسرعان ما تذبل زهرة العمر وتنزل المنية به وهو فى شرخ الشباب وأوج المجد ، فينماه الناعى من المذياع الذى طالما تردد صوته منه فأطرب وأشجى ، وتستمع إليه محبوبته التى فرقت الأيام بينهما ، فينزل عليها النبأ نزول الصاعقة ، وتصبح فى اليوم التالى نزيلة صومعة من صوامع مستشفى الأمراض العقلية .

هذا موجز قصة « ليلة النهر » التى وضعها الأستاذ باكثير ، وصاغ لها قصائد ثلاثاً من جيد الشعر ، ولم يقنع المؤلف بسرد أحداث تتكرر فى روايات أخر ، بل رأى أن يضيف إلى ذلك عنصراً جديداً يمكن تسميته « عنصر الخفاء » ، ذلك لأنه جعل الشاعر بطل الرواية يتصل — فى هيام روحه — بروح شاعر مات بعد ما حرقت جميع أشعاره ، فأخذ يملى عليه ما ضاعت آثاره من شعره . فالشاعر العاشق فى الواقع ليس سوى راوية لشعر غيره ، ورجع لصداه ، يقبل الشعر عليه من غير جهد فيسجله وتتوارد إليه عند تسجيله النغمات الموسيقية الملائمة ، فتكتمل لها ناحيتان تضاف إليهما ناحية الغناء فيتم الثالوث الفنى المطلوب .

وهذه الرواية ضرب من ضروب الحب العذرى العفيف الذى يحرص الأستاذ على أحمد باكثير على أن لا يتجاوزه فى ما يكتب من روايات كروايتى « سلامة القس » و« وا إسلاماه » اللتين أصدرهما من قبل وعلى الرغم من أن المؤلف « خلق » فى رواية « ليلة النهر » رجلا من رجال الفن وأدار أحداثها حول بطولته ، أبى أن يسمح لهذا البطل بالاستهتار والتبذل واحتساء الخمر ، والاقبال على مشهيات الحياة . وقد يحسب البعض أن فى هذا « الاعتدال » الذى اتصف به بطل الرواية تكلفاً وخروجاً على المألوف ، ولكن الناقد المنصف لا يسعه إلا أن يحمد للمؤلف هذا الاتجاه . والمؤلف بعد ذلك وقبله ، خلاق يخلق أبطال روايته كما يشتهى ، ويجيد الخلق متى أخرج لنا شيئاً جديداً ليس لنا به من قبل عهد .

وبعد ، إنها قصة جيدة متماسكة الجوانب تقف بين أترابها شامخة مرفوعة الرأس .

وديع فلسطين